

أثر التشيع في الأدب العربي

بقلم

محمد سيد كبروني

الطبعة الثانية

١٩٩٥ - ١٩٩٦

دار العرب
للبيستاف

٢٨ شارع الفجالة - ١١٢٧١ - القاهرة

ت: ٥٩١٥٣١٥ - ٩٠٨٠٢٥

فاكس: ٧٧١١٤٠ - ٢٠٢

المصادر

— الشهرستاني	الملل والنحل
— عبد القادر البغدادي	الفرق بين الفرق
— ابن قتيبة	الإمامة والسياسة
— الأصبهاني	الأغاني
— الحسيني العاملي	أعيان الشيعة
— ابن عري	الفتوحات المكية
— الثعالبي	يتيمة الدهر
— أحد رجال الطرق الصوفية	المنهج الحنبلي
— ياقوت	معجم الأدباء
— شرح ابن أبي الحديد	منهج البلاغة
— شرح محمد بن عده	منهج البلاغة
— شرح درزا حميد الله	منهج البلاغة
— الطبري	تاريخ الأمم والملوك
— الشريف المرتضى	الأمالي
— أبو علي القالي	الأمالي
— ابن عبد ربه	العقد الفريد
— ابن هشام	السيرة
— السروي المازندراني	مناقب آل أبي طالب

— الكميت	الهاشميات
— محمد بن سلام الجحى	طبقات الشعراء
— ابن خلكان	وفيات الأعيان
— محمد بن شاكر	فوات الوفيات
— الجاحظ	البيان والتبيين
— ابن رشيق	العمدة
— ابن النديم	الفهرست
— ابن حزم	الملل والنحل
— الصولى	الأوراق
	ديوان كثير
	ديوان ابن الرومى
	ديوان الشريف الرضى
	ديوان مهيار الديلبى
	ديوان ابن هانىء الأندلسى

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هي الطبعة الثانية لكتاب « أثر التشيع في الأدب العربي » ،
والتشيع مذهبٌ سياسىٌ ودينىٌ فى نفس الوقت ، لأنه يتناول أصلاً
من أصول الحكم ، ويسجل الخلافات الدينية بين الأحزاب فى ذلك
الوقت . وما زالت هذه الخلافات موضع مناقشات ومساجلات بين
هذه الأطراف . ولا يخفى أن الذى أضعف المسلمين فى الماضى
والحاضر هو كثرة المنازعات الداخلية بينهم . ومن الخير لهم أن
يتجاهلوا خلافات الماضى ، فالماضى لا يعود . وقد تطورت الدنيا
وتغيرت . فخير لهم أن يعودوا إلى طبيعة الدين الإسلامى السمحة .
فالمسلم أخو المسلم والدين الإسلامى ينهى عن التفرق ويدعو إلى
الوحدة والتضامن . وهذا يجعل المسلمين إخوة لا فرق بين هذا وذاك
إلا بالتقوى .

والله يغفر لمن يشاء ويرحم الجميع من الناطقين بالشهادتين : -
شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله .
وكتاب أثر التشيع يدعو إلى المحبة والوفاء بين الناس أجمعين .
وقد استفاد خصوم العرب من التفرق والتنازع بين أبناء الدين
الواحد ، وهذا ما نهى عنه الإسلام .
﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ والإخوة يجب أن يتصافحوا وتصفو
القلوب بينهم ، ويعملوا على خير المجتمع .
والله الموفق .

محمد سيد كيلانى

القاهرة فى ١٢ أكتوبر ١٩٩٤

مقدمة

الطبعة الأولى

هذا بحث فيما أحدثه التشيع من أثر في الأدب العربي ، بدأته منذ قيام علي بن أبي طالب بحركته ، وانقسام المسلمين إلى حزبين كبيرين : حزب يتشيع لعلی ، وحزب يقف وراء معاوية ، ثم حزب ثالث لا يرضى عن هؤلاء ولا عن أولئك ، وهو حزب الخوارج .

وقد رتبته على أربعة أبواب ، وخصصت أول فصل من الباب الأول للكلام على الخلافة ؛ وأتيت في الفصل الثاني ببذرة عن أشهر فرق الشيعة العلوية ومعتقداتها ، ليسهل بذلك على القارئ فهم ما جاء في الشعر الشيعي من مذاهب وآراء ، كالقول بالرجعة وعصمة الأئمة والمهدي المنتظر وغير ذلك من العقائد التي أوردها شعراء تلك الطائفة في كثير من شعرهم .

وكان العلويون والأمويون والخوارج يترشقون بالكلام ، كما كانوا يتطاحنون بالسيوف والسهام ، فأخذ الخطباء والشعراء والكتاب يدافع كل منهم عن الحزب الذي ينتمى إليه ، ويذود عنه ، ويرد على مطاعن أعدائه ويحرض على الكفاح والجهاد . فترى في الفصل الأول من الباب الثاني أثر التشيع واضحا إلى أبعد حد في دولة النثر : في الخطابة ، والرسائل ، والحديث ، والقصص ، وانتحال القول . وفي الفصل الثاني من هذا الباب تكلمت على أشهر خطباء الشيعة مع دراسة تحليلية للكتاب نهج البلاغة .

وتناولت في الفصل الأول من الباب الثالث الكلام على مظاهر
انتحال الشعر عند الشيعة . وخصصت الفصل الثاني للحديث عن
أغراض الشعر عند هؤلاء القوم . فمن مدح لآل البيت بدأ ساذجاً
بسيطا لا أثر للتكلف فيه ، ثم أخذ يتدرج في الغلو شيئاً فشيئاً حتى
جاء ابن هاني الأندلسي فظهر في شعره نوع من المدح لاعهد للمسلمين به
من قبل . إلى رثاء حار منبعث من أعماق القلوب . فقد حدث أن قتل
على ثم قتل ابنه الحسين من بعده على صورة مؤلمة . ثم تتبع الأمويون
والعباسيون من بعدهم العلويين ، فنكروا بهم أشنع تنكيل ، ومثلوا بهم
أفظع تمثيل ، فحرك ذلك عواطف كثير من الشعراء ، فأنشؤا قصائد
قوية فيها لوعة وأسى ، وحزن عميق وألم شديد ، إلى غير ذلك من
الأغراض التي تناولها شعراء الشيعة وهي مفصلة كما تراها في موضعها
من هذا الكتاب .

وأيتت في الباب الرابع بتراجم مختصرة لعشرة من شعراء الشيعة ،
بدأتهم بالكميت ، وختمتهم بابن هاني الأندلسي ، وبهذا ينتهي الكتاب .
القاهرة في أول مايو سنة ١٩٤٧
محمد منير كيموني

الباب الأول

الفصل الأول

مشكلة الخلافة

(١) القدماء والتاريخ

اعتاد بعض قدامى المؤرخين أن يسلكوا في كتابة تاريخ الصحابة مسلكا عجيبا ، فتراهم يطمسون بعض الحقائق طمسا غريبا ، ويضللون الناس تضليلا كبيرا ياغراقهم في المدح والثناء على هؤلاء الرجال بحق وبغير حق حتى يتوهم القراء أن الصحابة أشخاص مقدسون لا يجوز عليهم الخطأ ؛ يفعلون ذلك ظانين أن كتابتهم التي يكتبونها على هذا النحو تقربهم من الله زلفى ، وتضمن لهم الجنة ... ولا ريب في أنهم مخطئون ، ولا عجب أن كانت كتابتهم خلوا من الروح العلى الصحيح ، لافائدة منها ولا خير فيها ، تقرأها فتشعر بأنك تطالع قطعة من المديح ، لا أكثر ولا أقل ؛ فتمحيص الحقائق التاريخية ، وتحليل أعمال الأشخاص ، ووضع الأمور في نصابها ، والنظر إلى الموضوع في نزاهة وإخلاص ، وتحرى الصدق والتجرد من الأهواء ، وتحكيم العقول بدلا من الميل مع العواطف ، كل هذا من الأمور التي لم يعرف القدماء إليها سبيلا ، اللهم إلا المعتزلة الذين كانوا مطبوعين على الجرأة والصراحة .

وفي هذه الأيام نجد كثيرين يسلكون مسلك القدماء فيما يكتبون :
يرددون ما خطته أقلام أسلافهم من غير بحث ولا تحقيق . وإن أنت
حاولت أن تتبع طريق العلماء الباحثين ، وتحكم عقلك فيما لم يعتادوا تحكيم
عقولهم فيه ، رموك بالكفر ، واتهموك بالإلحاد ، وانهاؤا عليك بالشتائم
والسباب ...

وسواء رضى هؤلاء أو غضبوا ، فإنى أؤثر أن أنهج نهج العلماء
المحققين الذين يضعون الحقيقة فوق كل اعتبار .

(٢) لمن الخلافة ؟

ما كاد النبي يلفظ النفس الأخير حتى تحركت أطماع^(١) بعض
الصحابة في منصب الخلافة ، وأظهر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء ،
وتكشفت النفوس عما كانت تنطوى عليه من أمور كانت مستورة مدة
حياة النبي ، وظهرت بعد ساعات قليلة من وفاته .

لقد اجتمع الأنصار عقب وفاة الرسول إلى سيدهم سعد بن عبادة
في سقيفة بني ساعدة وبايعوه خليفة . وما كاد أبو بكر وعمر وأبو عبيدة
يسمعون بهذا النبأ حتى أسرعوا إلى مكان اجتماعهم ، ودار بينهم وبين
الأنصار جدال شديد ونقاش عنيف ؛ فالأنصار يقولون إنهم نصروا
النبي وآووه ، وساعدوه وآزروه ، وكافحوا من أجله ومن أجل الدين
كفاحا شديدا ، وعلى ذلك يجب أن يظفروا بهذا المنصب جزاء وفاقا لهم

(١) ذكر ابن قتيبة أن أبا بكر قال : والله لئن لشديد الوجع ، ولما ألقى منكم يا معشر
المهاجرين أسد على من وجعى . لئن وليت أمركم ولست خيركم في نفسي ، فلكم ورم أفقه
إرادة أن يكون هذا الأمر له وذلك لما رأيتم الدنيا قد أقبلت .

على ما بذلوا من جهود . ووقف أبو بكر وعمر يردان على الأنصار الحجة بالحجة ويدفعان البرهان بالبرهان ، ويدودان عن حق المهاجرين في الخلافة ؛ فالمهاجرون وهم الذين احتملوا الاضطهاد والعذاب ، وصبروا وصابروا وضجوا بأنفسهم وأرواحهم في سبيل الدين ؛ وهم يفضلون الأنصار — كما يزعم أبو بكر — بأسبقيتهم إلى دخول الإسلام .

قال الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . فقال عمر : هيات ^(١) لا يجمع سيفان في غمد واحد : والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا ينبغي أن تولى هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم ، وأولى الأمر منهم ، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة ، والسلطان المبين . من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل يبطل ، أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة .

فأنت ترى أن عمر في كلامه هذا كان أول من أحيا العصية الجاهلية في نفوس المسلمين . وترى كذلك أن عمر خول نفسه الحق في الكلام عن العرب بأجمعهم حين يخاطب الأنصار بقوله : « والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ، وأمر ثالث تلحظه في كلام عمر وهو أنه جعل النبي ملكا له سلطان وله ميراث ، وجعل لأبي بكر الحق في حيازة هذا السلطان ، وفي الاستيلاء على هذا الميراث .

ولما كان الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج ، وكان بين هاتين القبيلتين عداوة شديدة ، وحروب طاحنة في العصر الجاهلي ، خشيت إحداها بأس الأخرى إذا خلص لها الأمر ؛ وعلى هذا وافقت

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٢ طبع مصر مطبعة النيل ١٩٠٤

الأوس على مبايعة أبي بكر وتبعتها الخزرج ، عدا سيدها سعد بن عبادة
الذى أهان أبا بكر إهانة شديدة ، بل أهان المهاجرين جميعا . وأبى أن
يبايع أبا بكر واعتزل المسلمين ، ورحل إلى الشام فى أيام عمر ومات هناك .
وبعد أن تمت البيعة لأبى بكر من الأنصار دخل المسجد فرأى قوما
آخرين لا تقل أطماعهم عن أطماع الأنصار . رأى بنى أمية مجتمعين حول
عثمان ، وبنى زهرة مع عبد الرحمن بن عوف ، وبنى هاشم مع على بن أبى طالب ،
فقال عمر وقد عرف كل ما يجول بخاطر كل منهم : مالكم مجتمعين حلقاً
شئى ، قوموا فبايعوا أبا بكر ، فقد بايعته وبايعه الأنصار . فقام عثمان
ومن معه فبايعوه ، وقام عبد الرحمن بن عوف ومن معه فبايعوه أيضا .

وأما على والعباس ومن معهما من بنى هاشم فانصرفوا إلى بيوتهم
ومعهم الزبير بن العوام ، فذهب إليهم عمر فى عصابة ، فقال انطلقوا فبايعوا
أبا بكر فأبوا ، وخرج الزبير بن العوام بالسيف فقال عمر « عليكم الرجل
فخذوه » ، فوثب عليه واحد من العصابة فأخذ السيف من يده وضرب به
الجدار ، وأخذوه وانطلقوا به ، وأرغموه على المبايعة . وذهب بنو هاشم
فبايعوا وأخذوا عليا ليبايع فقال « أنا أحق » بهذا الأمر منكم ، لا أبايعكم
وأتم أولى بالبيعة لى ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار ، واحتججتم عليهم
بالقراية من النبى صلى الله عليه وسلم ، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً ،
ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم
المقادة ، وسلوكم الإمارة ؟ فأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على

الأنصار، فنحن أولى برسول الله حيا وميتا . فأنصفونا إن كنتم تؤمنون ،
والإفكوا بالظلم وأنتم تعلمون . فقال عمر : لست متروكا حتى تباع ،
فقال له علي : احلب حلبا لك شطره ، وشد له اليوم يردده عليك غدا ،
عنى بذلك ساعده اليوم فى الحصول على الخلافة ليوليك بعده على المسلمين .
ثم قال : والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه . فقال أبو بكر : إن
لم تباع فلا أكرهك . وتكلم أبو غبيدة بن الجراح ونصح عليا بالمبايعة ،
ولكن عليا قال : الله الله يا معشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمد فى
العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقبور بيوتكم . ثم ما كان منه
إلا أن حمل زوجته فاطمة على دابة وأخذ يطوف بها فى مجالس
الأنصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون لها : يا بنت رسول الله قد مضت
بيعتنا لهذا الرجل .

فما تقدم ترى أن عمر سلك طريقا غير رشيد ، فاحتج على الأنصار
بأنهم أسبق الناس إلى الإسلام مع أنه ليست هناك أدنى علاقة بين أسبقية
المرء إلى الإسلام وبين صلاحيته للحكم . ثم إنه احتج عليهم بقراءة
المهاجرين للرسول . ومع ذلك فقد كان واجب العدل يقضى بأن تكون
الخلافة لعلي بن أبى طالب ما دامت القرابة اتخذت سندا لحيازة ميراث
الرسول . لقد كان العباس أقرب الناس إلى النبي وكان أحق الناس
بالخلافة ، ولكنه تنازل بحقه هذا لعلي . فمن هنا صار لعلي الحق وحده
فى هذا المنصب . ثم إن عمر هدد بنى هاشم فذهب إليهم فى عصابة ، وحمل
الزبير وأرغمه على البيعة كما تقدم ، وكاد يقتل عليا .
أما على فإنه رفض مبايعة أبى بكر مع أنه رأى الأمة كلها قد بايعت ،

فكان واجبا عليه أن ينكر ذاته ، ويسمو بمصلحة الإسلام والمسلمين فوق الاعتبارات الشخصية . ثم كان يجب عليه أن يسلم بالأمر الواقع ويذعن لما أذعن له غيره من المسلمين .

وما يؤخذ عليه أيضاً أنه حاول أن يثير نيران الحرب بين المسلمين ، فذهب إلى الأنصار حاملا زوجته على دابة كما أسلفنا سائلا إياهم النصر . ترى ، ماذا كانت حالة الإسلام والمسلمين لو استجاب الأنصار لدعوة علي وقاموا معه في وجه أبي بكر ؟

(٣) الشيخان

والظاهر أن أبا بكر وعمر قد وضعا هذه الخطة وفكروا فيها قبل وفاة الرسول . ثم نفذوها فيما بعد بدقة وإحكام فكتب لها النجاح والتوفيق . وليس مما يعقل أن يكون قول أبي بكر « نحن الأمراء وأنتم الوزراء الخ ، وليد الساعة . وأنا أرى أن القوم فكروا في هذا الأمر والرسول لا يزال على قيد الحياة . وربما كان تفكيرهم فيه بعيد غزوة أحد التي تعرض النبي فيها للبوت . »^(١) والشيعنة تزعم أن النبي عهد إلى علي بالأمر من بعده . وهذا زعم باطل لأن عليا لم يستشهد به على صحة دعواه وسواء أكان الشيخان أبو بكر وعمر وصلا إلى منصب الخلافة بحق أو بغير حق ، فإنهما من غير شك قد خدما الإسلام خدمة لا تقدر ، بقي أثرها إلى اليوم ، وسيدبقى إلى ما شاء الله . فلا بى بكر الفضل في تثبيت أقدام الدين في شبه الجزيرة بقضائه على المرتدين ومدعى النبوة .

(١) ذكر ابن قتيبة وغيره من المؤرخين أن العباس لقي علياً فقال له « إن السى يقبص فاسأله إن كان الأمر لنا بينه وإن كان لغيرنا أوصى بنا خيرا » ولكن عليا لم يسأل النبي عن ذلك .

وما كاد ينتهى من ذلك حتى وجه العرب نحو الغزو والفتح ، فترتب على ذلك أن خرج المسلمون مجاهدين فى سبيل الله ففتحوا فارس والشام . ثم مات أبو بكر ؛ واعترافاً منه بفضل عمر عليه فى الوصول إلى مقعد الحكم عهد إليه بالخلافة من بعده . والظاهر أن أبا بكر كان قد وعد عمر بهذا فى ربه بوعد . وفى أيام عمر تم فتح الشام والاستيلاء على مصر وغنم المسلمون غنائم جمّة . ولعل من الصواب أن نقول إن عمر كاد يقف بالفتوح عند فارس وبلاد الشام . لقد تردد كثيراً فى فتح مصر . وأخيراً بعد إلحاح شديد من عمرو بن العاص وافق على إرسال جيش صغير واشترط على عمرو أنه سيرسل إليه خطاباً إن وصله وهو خارج الحدود رجع ، وإن وصله وهو داخل الحدود تقدم وطلب العون . ولما كان ابن العاص مخلصاً فى الجهاد فى سبيل الله فقد أخفى رسالة عمر التى وصلته وهو خارج حدود مصر ، ولم يفتحها إلا بعد أن أوغل فى الديار المصرية . ثم إن عمر فعل فعلة سياسية جريئة وهى عزله خالد بن الوليد من قيادة الجيوش العربية فى الشام فى أثناء اشتداد المعركة بين المسلمين والروم . لقد كان هذا العمل جديراً بأن يقضى على وحدة المسلمين ويؤدى إلى انهزامهم الشنيع أمام الأعداء . ولكن خالد بن الوليد أثبت أنه رجل كبير العقل والنفس ، فوضع مصلحة الإسلام فوق كل اعتبار ، وأخفى نبأ عزله حتى إذا ما تم النصر للمسلمين سلم القيادة إلى أبى عبيدة بن الجراح وقبل أن يعمل تحت إمرته .

ومع كل ما قدمنا فإن هذين الشيخين لا يستحقان تلك المطاعن الكثيرة التى كالمها لها شعراء الشيعة بغير حساب . لقد كانت أيام حكمهما

من أسعد الأيام التي مرت على المسلمين وكان عصرهما من خير عصور الإسلام . فإذا ما ذكرنا اسميهما وجب علينا ان ننحني إجلالا واحتراما لهما ، فإنهما جديران بكل تقدير . ولكن شعراء الشيعة لم ينظروا إلى المصلحة العامة ، بل نظروا إلى المصلحة الخاصة ، مصلحة على ، فملئوا أشعارهم بالشتائم والسباب ، وألصقوا بهما كثيراً من المثالب والنقائص بل رموهما بالكفر والخروج على الدين . من أمثلة ذلك ما روى أن المهدي جلس يوماً لتوزيع الإعطية على من يستحقها من المسلمين ، وكان في المجلس نفر من آل الخطاب ينتظرون نصيبهم من العطاء ، وبينما القوم جلوس إذ دخل الخادم على المهدي يحمل إليه رسالة فلما فتحها وجد بداخلها قصيدة بعث بها إليه السيد الحميري جاء فيها :

قُلْ لابن عباسٍ سَمِيَّ مُحَمَّدٍ لَا تُعْطِينَ بَنِي عَدِيٍّ دَرَهْمًا
احرم بنى تيم بن مرةٍ لهم شرُّ البريةِ أوْلاً ومُقَدِّمًا
منعوا تُراثَ محمدٍ أعمامه وابنيه وابنته عديلةَ مريمًا
وتأمروا من غير أن يُستخلفوا وكفى بما فعلوا هنالك ما ثَمًا
لم يشكروا لمحمد إنعامه أفيشكرون لغيره أن أنعمًا
والله من عليهم بمحمدٍ وهدهم وكسا الجنوب وأطعمًا
ثم انبروا لوعيه ووليِّه بالمنكرات فجرَّعوه العلقمًا

قال صاحب الأغاني : وهي ^(١) قصيدة طويلة حذف باقيا لقبح

(١) الأغاني جزء ٧ ص ٢٤٤ طبع دار الكتب المصرية .

بما فيه فلما قرأها المهدي أمر بقطع العطاء ، فقطعه وانصرف الناس
ودخل السيد إليه ، فلما رآه ضحك وقال « قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل ^(١)
ولم نعطهم شيئاً » .

(٤) عثمان

كان من سوء حظ المسلمين أن انتخب عثمان بن عفان خليفة ، فلم
يكن له من الصفات ما يجعله أهلاً لهذا المنصب الخطير . حقا ! لقد جاهد
عثمان في سبيل الله جهادا مشكورا وضحى بكثير من أمواله لإعلاء كلمة
الدين ، ولكنه لم يكن صالحا للحكم . لقد سلم زمام المسلمين إلى قومه
الأمويين الذين حاربوا الإسلام بكل ما استطاعوا من حول وطول ،
واضطهدوا النبي وآذوه هو وأصحابه ولم يدخلوا في الإسلام إلا مرغمين .
أجل ! لقد أعطاهم عثمان ^(٢) مقاليد الأمور وتركهم على هواهم فتصرفوا
في أموال المسلمين كيف شاءوا دون رقيب أو حسيب ، وتمهوا ما استطاعوا
لا ضمير يؤنبهم ولا دين يردعهم ولا رئيس يؤاخذهم .

ثم إن عثمان عين على الأقاليم ولادة عرفوا بسوء السيرة واشتهروا
بالفسق والفجور . ومن هؤلاء الحكام الوليد بن عقبة الذي بعثه عثمان
حاكماً على العراق . لقد شرب وأفرط في الشراب ، ثم ذهب إلى المسجد
لأداء صلاة الصبح فصلى بالناس أربع ركعات ثم التفت إليهم وقال :

أزيدكم ؟ وتقياً في المحراب ، وقرأ في الصلاة وهو رافع صوته :

علق القلب الربابا بعد ماشابت وشابا

(١) هو السيد الحميري . (٢) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ٥٤

فقدم رجل المدينة وأخبر عثمان بما حصل من الوليد فما كان من
عثمان إلا أن ضرب الرجل ، فقال الناس : عطلت الحدود وضربت الشهود .
قال صاحب الأغانى ^(١) : خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان
في أمر الوليد فقال : أكلنا غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل !
لئن أصبحت لكم لأنكن بكم . فاستجاروا بعائشة ، وأصبح عثمان فسمع
من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة ، فقال : أما يجد مراق أهل
العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة ؟ فسمعت عائشة فرفعت نعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : تركت سنة صاحب هذه النعل
فتسامع الناس فجاءوا حتى ملئوا المسجد ، فمن قائل : أحسنت ، ومن قائل :
مال للنساء ولهذا ، حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال ، ودخل رهط من أصحاب
رسول الله (ص) فقالوا له : اتق الله واعزل أخاك ^(٢) عنهم فعزله .

فيلاحظ القارىء بما تقدم أمورا منها أن عثمان بن عفان اعتبر وقد
العراق فساقا ومراقا ، ثم إنه جعل بيت رسول الله أو بيت عائشة
أم المؤمنين ملجأ لهؤلاء الفساق والمراق . فهذا البيت في نظر عثمان
مكان للهروق والخروج ! والأمر الثالث الذى يلاحظه القارىء أن
عائشة صرحت بأن عثمان ترك سنة رسول الله فتكاثرت الناس وتحاصبوا
وتضاربوا بالنعال . فكان عثمان بتركه سنة رسول الله مستحقا للعزل .
ولما طلب المسلمون منه ذلك وألحوا عليه مرارا رفض وأبى وأمعن

(١) الأغانى جزء ٥ ص ١٣٠ طبع دار الكتب .

(٢) كان الوليد بن عقبة أخا عماد من الرضاع .

في الرفض والإباء ، فلم يجد القوم بدا من قتله . قتل عثمان لما قدمنا من أسباب ، ولأسباب أخرى لا يتسع المجال لشرحها .

(٥) علي .

بعد مقتل عثمان انقسم المسلمون إلى ثلاثة أحزاب ، هي :
عثمانيون وهم الذين طالبوا بدم عثمان وكانوا فرقتين : الفرقة الأولى ،
بزعامه معاوية ، والثانية بزعامه طلحة والزبير .
أما الحزب الثاني فهم العلويون أنصار علي بن أبي طالب .
وبعد قليل ظهر حزب ثالث وهو حزب الخوارج .
ثم أخذت هذه الأحزاب ينقسم بعضها على بعض حتى أربى عدد
فرقها على السبعين ، وإنك لتجد ذلك واضحاً جلياً في كتاب الملل
والنحل للشهرستاني .

(٦) خطر الموقف

اجتمع فريق من المسلمين وبايعوا علياً . وكان أول من بايعه الأشتر
النخعي أحد قواد جيشه . ولكن علياً وجد أن عدداً كبيراً ممن يعتد
برأيهم من الصحابة غير راضين عنه . فدعا طلحة والزبير لمبايعته فتلكأ
طلحة فهده الأشر النخعي بالقتل فأذعن وبايع . وجيء بسعد بن
أبي وقاص وعبد الله بن عمر لبايعا فامتنعا . وتخلف عن البيعة من
الأنصار كثيرون منهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة ابن
مخلد ، وأبو سعيد الخدري ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد

ابن ثابت ، ورافع بن خديج ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عمرة . وكان هؤلاء يميلون إلى عثمان لما كان يسبغه عليهم من أموال .
ثم إن عائشة زوج النبي انضمت إلى جانب أعداء علي ، وأخذت تحرض الناس عليه ، وتشجعهم على محاربهته .

وجد علي نفسه أمام أعداء أقوياء من الشرق ومن الغرب ، فقد تخرج طلحة والزبير إلى العراق ، وكان معهما جيش كبير وخرجت معهما عائشة أم المؤمنين . وهنا يلاحظ القارئ موقفين متناقضين لعائشة ، الموقف الأول كان ضد عثمان الذي ترك سنة رسول الله كما تقدم آنفا .

والموقف الثاني خروجها مع طلحة والزبير إلى العراق ، وانضمامها إلى صفوف الذين يطالبون بدم عثمان !!

لاشك في أن عائشة أصابت في موقفها الأول ، ولكنها في رأي أخطأت خطأ عظيماً في الثاني ، فما كان لنساء النبي أن يخرجن من بيوتهن على هذه الصورة . ترى ما الذي دفعها إلى الذهاب إلى العراق مع طلحة ، والزبير ؟؟ وما الذي حملها على تحريض الناس على محاربة ابن عم الرسول ؟ أصبح أنها كانت تريد الثأر لعثمان ؟

استطاع علي أن يوقع بطلحة والزبير هزيمة شنيعة في وقعة الجمل التي قتل فيها طلحة والزبير ، وخسر فيها الفريقان خسارة كبيرة . ثم عامل علي عائشة معاملة حسنة وردها إلى المدينة معززة مكرمة .

ثم فرغ بعد ذلك لمعاوية ، وتقابلت جيوشهما في صيفين . وهناك دارت رحى الحرب بين الفريقين واستمرت أكثر من ثلاثة أشهر خسر فيها الفريقان خسارة فادحة . ولما رأى معاوية أن الهزيمة توشك أن تلحق به ، استشار عمرو بن العاص في الموقف فأشار عليه برفع المصاحف على أسنة الحراب ، وطلب تحكيم كتاب الله . فحاول على أن يحمل جنده على مواصلة القتال حتى النهاية ، ولكنهم رفضوا فاضطر إلى قبول التحكيم . ولما انتهى أمر الحكيم بتثبيت معاوية وخلع على ، أراد على معاودة القتال ، ولكن فريقا من أتباعه رأوا أنه كفر بقبول التحكيم وطلبوا منه أن يعترف بذلك ويتوب ولكنه رفض طلبهم ، فخرجوا عليه وسموا بالخوارج . وقد قاتلهم وشتت شملهم في وقعة النهروان . ثم رجع من حرب الخوارج وأخذ يبحث أنصاره على النهوض معه لقتال معاوية ، ولكنهم كانوا يعتذرون بمختلف المعاذير ليبرروا عدم قدرتهم على القيام معه . وبقي يخطب فيهم على غير جدوى حتى قتل .

لقد أخفق على إخفاقا مبينا لأنه كان في العراق حيث القبائل البدوية التي لا تعرف الطاعة ولا النظام بخلاف معاوية الذي كان بالشام يسيطر على جنود يدينون له بالطاعة والولاء .

ثم إن عليا كانت تنقصه صفات لا بد من توافرها في كل سياسي ناجح من مكر ودهاء وخداع وشراء الأنصار بالمنح والصلوات إلى غير ذلك مما لم يتوافر فيه

ولم يكن حظ ابنه الحسن بأفضل من حظ أبيه ، فقد مات مسموماً ، وحدث أن عهد معاوية بالخلافة من بعده لابنه يزيد ، فغضب كثير من المسلمين وثاروا عليه . وخرج الحسين إلى العراق فقابلته جيوش يزيد عند كربلاء ولم يخفَّ أهل العراق لتجدته ، فحصر هو وأصحابه ثم هجم عليهم أعداؤهم فاستشهدوا جميعاً ولم ينج إلا طفل صغير هو علي بن الحسين الملقب زين العابدين والنساء اللاتي كن مع الحسين .

(٧) خاتمة

هذا البحث الذي سقناه عن الخلافة لا بد لنا منه . فالتشيع مذهب سياسي يقوم على أركان أهمها منصب الخلافة ولمن يكون . ولقد رأينا ان القوم بشر مثلنا ، لهم حسنات ولهم سيئات . وقد كان يخطيء بعضهم بعضاً ويسب بعضهم بعضاً . وإذا كان التعرض لهؤلاء الناس بالنقد كفراً فما الحكم على عائشة وقد قالت : « اقتلوا نعثلاً^(١) لعن الله نعثلاً ، وخرجت إلى العراق وخطبت كثيراً وحرضت الناس على قتل علي وأبنائه ، وسأقت إليهم الشتائم والسباب ؟ وما الحكم على علي وقد رأينا موقفه من أبي بكر وعمر ؟

الظاهر ان النقد للصحابة كفر إذا كان ذلك منا ، أما إذا تعرض بعض الصحابة لبعض كما مر بنا بالسب واللعن فهذا ليس بكفر . ذلك رأى كثيرين . أما أنا فلا أذهب إلى ما يذهبون ولا أرى ما يرون .

لقد تنازع القوم على منصب الخلافة تنازعا قلا أن تجد له مثيلا في الأمم الأخرى ، وارتكبوا في سبيل ذلك ما تتعفف نحن عن ارتكابه الآن . فترتب على ذلك أن أزهقت أرواح ودمرت مدن ، وهدمت قرى وأحرقت دور ، وترملت نساء ، وتيتمت أطفال ، وهلك من المسلمين خلق كثير . ومع ذلك نجد الكتاب والمؤرخين إذا تناولوا هذا العصر أسبغوا على هؤلاء القوم ثوبا من الإجلال والتقديس وجمعوا حول سيرهم الكثير من الأساطير والخرافات ، ووضعوا لهم المناقب واختلقوا الأحاديث ، حتى إن الناس لم يجرؤوا على تناول الأحداث الجسام التي وقعت في هذا العصر بروح النقد النزيه والتمحيص العلمى ، وذلك لما أصابهم من الخوف والوجل إذا هم تعرضوا لأمثال هؤلاء الرجال . فقد رسخ في الأذهان أن التعرض لهم كفر صريح ، وخروج على الدين الحنيف .

الفصل الثاني

فرق الشيعة

اختلف الشيعيون فيما بينهم بعد وفاة علي بن أبي طالب . وكان أساس اختلافهم تعيين الأئمة . فمنهم من قال إن علياً نص على إمامة ابنه محمد بن الحنفية ، وهؤلاء هم الكيسانية . ومؤسس هذه الفرقة هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي استطاع أن يثار للحسين وينكل بمن حاربوه أو اشتركوا في قتله . ثم بسط سلطانه على بلاد العراق والجزيرة وفارس وأرمينية ودعا الناس إلى مبايعة محمد بن علي الملقب ابن الحنفية ، وأمه تسمى خولة من بني حنيفة ، واستدل المختار على إمامة ابن الحنفية بأن علياً دفع إليه اللواء يوم الجمل . ويقال إنه أخذ مذهبه هذا من كيسان مولى علي ، وقيل إن كيسان هذا لقب المختار . وكان محمد بن الحنفية في ذلك الوقت مقيماً في مكة فقبض عليه ابن الزبير وحبسه مع نفر من شيعته في بطن عارم . ولما بلغه أن جيشاً من أنصار ابن الحنفية يعد العدة للهجوم على السجن وتخليص من فيه ، أمر بوضع الخشب وإشعال النيران في السجن . وفي تلك اللحظة التي اشتعلت فيها النيران وصل نفر من أنصار ابن الحنفية واستطاعوا أن ينقذوه . وقد مات محمد بن الحنفية سنة ٨١ هـ وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان وكان والي المدينة ودفن بالبقيع . وبموته انقسم الكيسانية إلى فرقتين : الفرقة

الأولى أصحاب أبي كرب الضرير وقد عرفت بالكربية . وهذه الفرقة تزعم أن محمد بن الحنفية حتى لم يمت وأنه مقيم بجبل رضوى وعن يمينه أسد وعن يساره نمر وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل يأخذ منهما رزقه . وأنه سيخرج من هذا الجبل ويعود إلى الدنيا فيملؤها عدلا كما ملئت جورا ، وأنه هو المهدي المنتظر . وفكرة الرحمة هذه ظهرت بين المسلمين لأول مرة عند وفاة الرسول ، وكان أول من تكلم بها عمر بن الخطاب إذ قال إن الرسول لم يمت ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران وإنه سيرجع كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات . وكان ينتمى إلى هذه الفرقة من الشيعة الشاعران الكبيران كثير والسيد الحميري ؛ فقد كان كل منهما يدين بإمامة محمد بن الحنفية ويؤمن بالرجعة ؛ وقد قالوا في ذلك شعرا كثيرا تراه في موضعه من هذا الكتاب .

أما الفرقة الثانية فقالت بوفاة ابن الحنفية ونقلت الإمامة بعده إلى ابنه أبي هاشم . وقد انشعبت هذه الفرقة بسبب الاختلاف في اختيار الإمام إلى شعب كثيرة .

وأما من لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية فقد جعل الإمامة في الحسن والحسين . واختلفوا فيما بينهم اختلافا كبيرا . فمنهم من أجراها في أولاد الحسن فقال بعده بإمامة ابنه الحسن ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد ثم أخيه إبراهيم . ومحمد وإبراهيم خرجا على المنصور ، ودارت بين محمد والمنصور مكاتبات بشأن أحقية كل منهما في الخلافة ، فكتب المنصور

إلى محمد بن عبد الله بعد خروجه يعرض عليه الأمان فرد عليه محمد بخطاب طويل أتينا به في غير هذا الموضع من الكتاب فلما قرأه المنصور ، استدعى الكتاب ليردوا على محمد بن عبد الله ثم بدا له أن يرد بنفسه فأملى رسالة طويلة أثبتناها عند الكلام على أثر التشيع في النثر . وقد انهزم محمد وأخوه إبراهيم وقتلا شر قتلة .

ومن الشيعة من أجرى الوصية في أولاد الحسين وقال بعده بإمامة ابنه علي بن الحسين ناصا عليه ، ثم اختلفوا بعده فمنهم من قال بإمامة ابنه زيد وهؤلاء هم الزيدية وهم موجودون حتى أيامنا هذه في بلاد اليمن . ومنهم من قال بإمامة محمد بن علي الباقر ناصا عليه ، ثم بإمامة جعفر بن محمد وصية إليه وهؤلاء هم الإمامية . ثم اختلفوا بعده في أولاده من المنصوص عليه . وهكذا ظل الشيعة ينقسمون إلى فرق كثيرة . ومن أشهر الفرق الباقية إلى اليوم الإمامية الاثنا عشرية . وإليها كان ينتمي الشاعران الكبيران الشريف الرضي وتلميذه مهيار الديلمي . ومن الفرق العظيمة فرقة الإسماعيلية وهي مازالت إلى عصرنا هذا منتشرة في بلاد الهند وزعيم هذه الفرقة أغاخان الذي يقضى معظم وقته في أوروبا

والشيعة معتقدات غريبة في الأئمة فهم يضعونهم في منزلة الآلهة ، ويسندون إليهم العصمة ، ويغنون في ذلك غلوا كبيرا . أنظر إلى ابن هاني الأندلسي حيث يقول في مدح المعز لدين الله الفاطمي .

أتبعته فكرتى حتى إذا بلغت غاياتها بين تصويب وتصعيد
رأيت موضع برهان يلوح وما رأيت موضع تكييف وتحديد

قال ابن أبي الحديد^(١) « وهذا مدح يليق بالخالق تعالى ولا يليق
بالمخلوقين ، وهم يرون أن طاعة الإمام من طاعة الله فهي ركن من أركان
الدين وأساس من أسس الإيمان ، لا فرق بينها وبين أية فريضة من
الفرائض . كما يرون أن الإمام هو الذي يشمع لأمته فبِهِ نَجَاةٌ ، وليس
للإنسان ملجأ سواه . هو الذي يحط عنهم ذنوبهم وخطاياهم ، ويخلصهم
من الإصر والأوزار . قال ابن هاني :

فَرَضَانِ مِنْ صَوْمٍ وَشُكْرِ خِلَاقَةٍ هَذَا بِهَذَا عِنْدَنَا مَقْرُونٌ
فَارْزُقْ عِبَادَكَ مِنْكَ فَضْلَ شَفَاعَةٍ وَاقْرُبْ بِهِمْ زُلْفَى فَأَنْتَ مَكِينٌ
لَكَ حَمْدُنَا لَا أَنَّهُ لَكَ مَفْخَرٌ مَا قَدْرَكَ الْمَثْوَى وَالْمَوْزُونُ
قَدْ قَالَ فِيكَ اللَّهُ مَا أَنَا قَائِلٌ فَكَأَنَّ كُلَّ قَصِيدَةٍ تَضْمِينُ

وقال من قصيدة أخرى :

هَذَا الَّذِي تُرَجَى النَّجَاةُ بِحَبِيْبِهِ وَبِهِ يُحِطُ الْإِصْرُ وَالْأَوْزَارُ
هَذَا الَّذِي تُجَدَى شَفَاعَتُهُ عِنْدَا حَقًّا وَتَحْمُدُ أَنْ تَرَاهُ النَّارُ
مِنْ آلِ أَحَدٍ كُلِّ فَخْرٍ لَمْ يَكُنْ يُنْعَى إِلَيْهِمْ لَيْسَ فِيهِ فَخَارُ

ومنها :

أَبْنَاءَ فَاطِمَ هَلْ لَنَا فِي حَشْرِنَا لِمَا سِوَاكُمْ عَاصِمٌ وَمُجَارُ
أَنْتُمْ أَحِبَاءُ إِلَهِ وَآلِهِ خُلَفَاؤُهُ فِي أَرْضِهِ الْإِبْرَارُ
أَهْلُ النَّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ وَالْهُدَى فِي الْبَيْتَاتِ وَسَادَةُ أَطْهَارُ

(١) شرح ابن أبي الحديد جزء ١ ص ٢٠ طبعة الحلبي .

- ٢٠ -

والوحي والتأويل والتحريم والتحليل لاخلف ولا إنكار
إن قيل من خير البرية لم يكن إلاكم خلق إليه يُشار
لو تلمسون الصخر لا تبجست به وتفجرت وتدققته أنهار
أو كان منكم للرقات مخاطب لبوا وظنوا أنه إنشار
ويرى الشيعة أن الإمام من نور الله .

قال ابن هاني :

وما سار في الأرض العريضة ذكره ولكنه في مسلك الشمس سالك
وما كنه هذا النور نور جبينه ولكن نور الله فيه مُشارك
ويعتقدون أن حب علي وآله كافٍ لمحو أكبر الذنوب ؛ فكان منهم
من يشرب الخمر فإذا لامه أحد على ذلك أجاب بأن حب علي كفيلاً بأن
يضع أعظم وزر عن عاتق مرتكبه ؛ وفي ذلك يقول أحد شعرائهم .
حُبُّ عليٍّ في الوري جنةٌ فاح بها ياربُّ أوزاري
لو أن ذميًّا نوى جبهه حصن في النار من النار
وهم يقولون إن لكل نبي وصياً وإن محمداً خاتم الأنبياء وعلياً
خاتم الأوصياء .

وقد سرى كثير من عقائد الشيعة إلى سائر الفرق الإسلامية ،
فأصبح المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يؤمنون بالمهدى المنتظر .
أخذ الصوفيون هذه الخرافة ووضعوها في قالب جديد ، فسموا المهدى

قطبا وقالوا عنه ^(١) إنه "يدبر الأمر في كل عصر، وهو عماد السماء ولولاه لوقعت على الأرض"، . ولهذا القطب مساعدون يسمون بالنقباء لهم في زعم المتصوفة قدرة فائقة على استخراج ما تكنه النفوس وما تخفيه الأرحام . قد كشف عنهم الحجاب، فأصبحوا يعرفون من إبليس ما لا يعرفه عن نفسه، ويقول رجال الطرق ^(٢) الصوفية إن الأشياخ سلم الطريق، لأن الطريق سماء لا يتوصل إليها إلا بالسلم، والأشياخ واسطة بين المرء وربيه .

وفي مصر نرى كثيرين يعتقدون بوجود شخص يسمى الخضر، ويسندون إليه من الخوارق والمعجزات ما لم يسند للأنبياء من قبل، ويقولون إنه لن يموت إلا عند قيام الساعة . والعامه معذورون عندنا لأن رجال الدين لا يكافون مثل هذه الخرافات .

ولما كانت الإمامة ركنا من أركان الإيمان عند الشيعة، وكانوا يعتقدون بإمامة عليّ بالنص، ترتب على هذا أن يكون حب عليّ أساسا من أسس الإيمان . وقد ساقهم هذا إلى تكفير كل من نأوا عليا أو نازعه في هذا الحق . قال بذلك معظم فرق الشيعة عدا قليل منهم، فإنهم لم يحكموا على من خالف عليا بالكفر والخروج عن الدين . فأما الأولون وهم الغلاة فقد كفروا أبا بكر وعمر وعائشة وغيرهم، وبالغوا في ذلك حتى جعلوا لعنهم قربة إلى الله . ومن هنا نستطيع أن نفهم المطاعن الكثيرة التي زخر بها الأدب الشيعي في حق الخلفاء الأولين،

(١) الفتوحات المكية لابن العربي .

(٢) كتاب المنهج الحنيف لأحد الصوفيين — مخطوط .

فقد كان السيد الحميرى وابن الحجاج ومهيار الديلمى يكثرون من سب هؤلاء القادة وهم يرون فى ذلك ما يقربهم من الله وما يضمن لهم الجنة التى أعدت للمتقين .

وقد اعتاد أعداء الشيعة أن يطلقوا على كل من عرف بتشيعه كلمة « رافضى » والحق أن الرافضة فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن على بن الحسين ، ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين (أبى بكر وعمر) نقاتل معك ؛ فأبى وقال : كانا وزيرى جدى ، فلا أبرأ منهما ؛ فتركوه ورفضوه وارضوا عنه فسموا الرافضة^(١) لذلك .

ومن هذا يتضح أن الرافضى هو الذى يرفض أبى بكر وعمر ، ولا يرى لأحد حقا فى الخلافة سوى على . إلا أن كلمة رافضى كانت تطلق تشفيا وانتقاما من كل من أبدى حبا لآل على . قال الإمام الشافعى :
إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلَيْنِ أَنِّي رَافِضِي
وقال :

برئتُ إلى المهيمنِ من أناسٍ يروْنَ الرِّفضَ حبَّ الفاطميَّةِ
على آلِ الرسولِ صلاةُ ربِّي ولعنته لتلك الجاهليَّةِ

(١) انظر القاموس وشرحه فى مادة (رفض) .

الفصل الأول

في النشر

(١) الخطابة

لما قام الخلاف بين علي ومعاوية شرع كل منهما يخطب في جنوده وأنصاره محرضاً إياهم على القتال والكفاح ، فراجت سوق الخطابة رواجاً عظيماً ، وارتفع شأنها إلى درجة لم يسبق لها مثيل ، وكثر الخطباء في كل قطر من علويين وأمويين وخوارج ، كل يؤيد وجهة نظر الحزب الذي ينتمى إليه ، وكل يحرص على أعدائه ويطعن فيهم ويرميهم بكل نقيصة . نهضت الخطابة في كل صقع : في الشام وفي العراق وفي مصر وفي الحجاز وفي اليمن . وامتاز أسلوبها بالقوة والمتانة وكثرة الاستشهاد بالقرآن والحديث والاقْتباس من الشعر والأمثال فضلاً عن البراهين والأدلة التي يسوقها كل خطيب ليدعم بها رأيه ويؤيد مذهبه . وكانت الخطب ، ولا سيما خطب العلويين تفيض بالعواطف وتزخر بالحماسة وتطفح بالتحريض على القتال والنزال . فيها تهديد بغضب الله على كل من يتخلف عن الجهاد وفيها ترغيب بدخول الجنة لمن يحاهدون ويكافون . وقد بلغت في الطول درجة لم تصل إليها من قبل .

ومن أشهر خطباء ذلك العصر الإمام علي الذي امتاز بمضاء لسانه ، وعلو بيانته ، وقوة منطقته ، وسطوع حجته ، ومواتاة البلاغة له في خطبه

الناس ويتركونهم حتى تلبعث منهم الروائح الكريهة ، ثم يحرقونهم
ويذرونهم في الهواء . وسب الأمويون عليا على المنابر واخترعوا له
المثالب والنقائص . وحرموا على الناس ذكر اسمه أو اسم أحد من
أبنائه كما حرموا على الناس أن يسموا أبناءهم عليا أو حسنا أو حسينا .
ثم جاء دور بني العباس ، وكانوا للعلويين أشد كرها ، وأعظم
بغضا ، فأمعنوا فيهم قتلًا وحرقًا ، واضطهادًا وتعذيبًا ، فأمر المنصور
فحمل إليه من المدينة كل من كان فيها من العلويين مقيدين بالسلاسل
والأغلال ، ولما وصلوا إليه وكان بالهاشمية ، حبسهم في سجن مظلم
لا يعرف فيه ليل من نهار . وكان إذا مات واحد منهم ترك معهم .
وأخيرا أمر بهدم السجن عليهم . وفي ذلك يقول أحد شعراء الشيعة :
والله ما فعلتُ أمةً فيهمُ معشَرَ ما فعلتُ بنو العباسِ
وقال أبو فراس :

مانال منهم بنو حرب وإن عظمتُ تلك الجرائمُ إلا دون تيلكمُ
وقال الشريف الرضى :

ألا ليس فعلُ الأولينَ وإن علا على قبحِ فعلِ الآخرينَ بزائد
وقد بالغ الرشيد في التنكيل بالعلويين . ولم يخف الضغط عليهم
إلا حين ضعفت الخلافة العباسية وأصبح السلطان الفعلي في الممالك
الإسلامية للترك والديلم وبني حمدان .

كل هذه النكبات قد أثرت تأثيرا كبيرا في الأدب الشيعي نثره
وشعره . وإنما مبينون ما تركته من أثر في دولة النثر أولا ثم في دولة
الشعر ثانيا .

الباب الثاني

مقدمة

التشيع والأدب

جاء الأدب الشيعي صورة صادقة لما وقع على العلويين من اضطهاد . فقد قتل عليّ ، وأصبح آله يُستدلون ويُضامون ، ويُقصون ويمتهنون ، ويحرمون ويقتلون ، ويخافون ولا يأمنون على دماهم ودماء أوليائهم . فقتل أنصار علي في كل قطر وكل مصر في عهد معاوية ، وعذبوا تعذيباً مرا ، قطعت منهم الأيدي والأرجل على الظنة . من ذكر بحب آل عليّ سجن أو نهب ماله أو هدمت داره . وكان البلاء يشتد على العلويين يوماً بعد يوم . فقتل الحسين على صورة مؤلمة في كربلاء ، ثم جاء الحجاج فبطش بهم بطش عزيز مقتدر حتى أصبح اتهام الرجل بالزندقة والكفر أهون عليه بكثير من اتهامه بحب آل عليّ . فقد أقتن الأمويون في طرق الإعدام ، فن دُفن للناس وهم أحياء ، إلى صلب علي جذوع النخل ، إلى حرق ، إلى حبس ومنع الهواء والأكل والماء عن المحبوس حتى يقضى نجه جوعاً وعطشاً . كانوا يرتكبون هذه الآثام في وحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً فيقطعون رأس الابن أو الزوج ويعثون بهذا الرأس إلى الأم أو الزوجة ويلقونه في حجرها . وكانوا يصلبون

وكتبه ورسائله وسوانح حكمه وجوامع كلمه . قال الشريف الرضى فى مقدمة نهج البلاغة يصف عليا : « كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومثسأ البلاغة ومولدها ، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمتلته هذا كلُّ قائلٍ وخطيب ، وبكلامه استعان كلُّ واعظ بليغ ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا ، وقد تقدّم وتأخروا ، لأن كلامه عليه السلام الكلام الذى عليه مسحة من العلم الإلهى ، وفيه عبقة من الكلام النبوى . » ومن بليغ خطبه قوله .

« أما بعد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة . فمن تركه رغبة عنه ، ألبسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، ودبث بالصغار والقمأة ، وضرب على قلبه بالإسهاب ، وادبى الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ومنع النصف . إبنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، سرا وإعلانا ، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قط فى عقر دارهم إلا ذلوا فتوا كلمهم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات ، ومليكت عليكم الأوطان . وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار ، وقد قتل حسان البكرى وأزال خيلكم عن مساحها . ولقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها^(١) وقلبيها^(٢) ، وقلائدتها ورعنها^(٣) ، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع^(٤) والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرین ، مانال رجلا منهم كلم ، ولا أريق لهم دم . » وهى طويلة يراها القارىء فى كثير من

(١) الحجل بالكسر الحلال . (٢) السوار .

(٣) واحده رعة بالفح وهو الفرط . (٤) تردد الصوت بالبا .

كتب الأدب لا سيما البيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد . وأنت ترى أن عليا بدأ خطبته بالترغيب في الجهاد الذي هو باب من أبواب الجنة وطريق يؤى إلى النعيم المقيم ، وترك هذا الجهاد يسوق الناس إلى الذل والعبودية . ثم أخذ يستنفر قومه إلى الحرب فذكر أن عسكر أخى غامد قد دخلت الأنبار وارتكبت فيها من الجرائم شيئا كثيرا . قتلت الرجال وحرقت الدور ودمرت الأحياء . ثم وضع على يده على أهم ما يثير العربى وهو العرض فأخبرهم أن الرجل من هؤلاء الغزاة كان يدخل على المرأة فيسلبها حليها وينصرف آمنا مطمئنا .

* * *

أما الأمويون فكانوا يملثون خطبهم بالشتائم والسباب والمطاعن والمثالب فى على وآل بيته . وكان الخطباء فى المساجد يحتمون خطبة الجمع بلعن على والترحم على عثمان والاستغفار له ، وإطراء شيعته . روى الطبرى أن معاوية بن أبى سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فى جمادى سنة ٤١ هـ ، دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . . . « أردت إيصاءك بأشياء كثيرة ، فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضينى ويسعد سلطانى ، ويصلح به رعيتى ، ولست تاركا إيصاءك بخصلة ، لا تتحم^(١) عن شتم على وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب على أصحاب على والإقصاء لهم وعدم الاستماع منهم^(٢) » قال الطبرى « إن المغيرة أقام عاملا على الكوفة لمعاوية سبع سنين وأشهرها وهو من أحسن شىء سيرة وأشدّه حبا للعافية ، غير أنه لا يدع ذم على والوقوف فيه والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم ، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه . »

(١) لا تتحم .

(٢) تاريخ الطبرى ٦ ص ١٤١ طبع أوروبا .

(٢) الرسائل

ظهر أثر التشيع واضحا جليا في الرسائل التي تبودلت بين عليّ ومعاوية وبين الحسن ومعاوية وبين زينب بنت علي وبين يزيد ، وبين محمد بن عبد الله وبين المنصور ، وبين غير هؤلاء من علويين وأمويين أو علويين وعباسيين . وقد امتازت هذه الرسائل بطولها ، وبقوة أسلوبها ومثانة تركيبها . ترى فيها الحجج القوية ، والبراهين الساطعة ، والأدلة الواضحة التي يأتي بها كاتبها تأييدا لما يقول ، وطعنا على صاحبه واسقاطا لما يدعى في الخلافة ، واطهارا لنقائص الخصم ومثالبه . فيها ترغيب وتهديد ، ووعد ووعد .

وامتازت هذه الرسائل كذلك بكثرة الاقتباس من القرآن والحديث والحكم والأمثال والشعر . ومن أمثلة ذلك أن المنصور بعث رسالة إلى محمد بن عبدالله بالمدينة ، وكان قد خرج عليه ، وأعلن الحرب ضده — يرغبه ويرهبه ، وينذره عاقبة الخروج والعصيان ، ويبدل له الأمان إن تاب وعاد إلى الجماعة . فكتب إليه محمد بن عبدالله هذا الكتاب

« بسم^(١) الله الرحمن الرحيم . من عبد الله المهدي محمد بن عبدالله إلى عبدالله بن محمد . طسم ، تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعون نجلا في الأرض وجعل أهلها شيعا ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستحبي نساءهم ، إنه كان من المفسدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في

(١) تاريخ الطبري ج ٩ ص ٢٠٨ .

الأرض ، ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ،
ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحقدرون . وأنا أعرض
عليك من الأمان مثل الذي عرضت علي ، فإن الحق حقنا ، وإنما ادعيتم
هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وإن أبانا عليا
كان الوصي ، وكان الإمام . فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟ ثم
قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالتنا ،
وشرف آبائنا ؛ لسنا من أولاد اللعناء ولا الطرداء ، ولا الطلقاء .
وليس يمت أحد من بني هاشم بمثل الذي نمت به من القرابة والسابقة
والفضل ، وإنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو
في الجاهلية ، وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم . إن الله اختارنا
واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن السلف
أولهم إسلا ما علي ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة ، وأول من
صلى القبلة ، ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن
المولدين في الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة ؛ وإن هاشما
ولد عليا مرتين وإن عبد المطلب ولد حسنا مرتين وإن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل حسن وحسين . وإني أوسط بني
هاشم نسباً ، وأصرحهم أما وأبا ، لم تعرق في العجم ، ولم تتنازع في
أمهات الأولاد . فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية
والإسلام حتى اختار لي في النار ، فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة
وأهونهم عذاباً في النار ، وأنا ابن خير الأخيار ، وابن خير الأشرار ،
وابن خير أهل الجنة ، وابن خير أهل النار . ولك الله عليّ إن دخلت في

طاعتي ، وأجبت دعوتي . أن أومنك على نفسك ومالك ، وعلى كل أمر أحدثته إلا حداً من حدود الله ، أو حقاً لمسلم أو معاهد ، فقد علمت ما يلزمك من ذلك ، وأنا أولى بالأمر منك ، وأوفى بالعهد ، لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجلاً قبلي : فأى الأمانات تعطيني؟ أم أمان ابن هُبيرة؟ أم أمان عمك عبدالله بن علي؟ أم أمان أبي مسلم؟؟ فأنت ترى في هذه الرسالة أن كاتبها محمد بن عبدالله عرض فيها نظرية العلويين السياسية والدينية ، وهي أنهم ورثوا الخلافة عن النبي لأن أباهم كان وصي النبي ، ولأن أمهم بنت النبي ، وما كان لغيرهم أن يلي الخلافة وهم أحياء . ثم أخذ بعد ذلك يفتخر بقرايته من النبي ومكانته منه في الإسلام وفي الجاهلية ؛ وبهذه الكرامة التي خص الله بها أهل البيت . ثم ذكر أنه ابن خير الأخيار وخير الأشرار ، وخير أهل الجنة وخير أهل النار . أراد أبا طالب الذي مات ولم يسلم ، فيروى أنه أقل أهل النار عذاباً لما قام به نحو النبي من واجب العطف والرعاية . ثم ختم رسالته بفقرة بلغت من القوة مبلغاً عظيماً ، حتى إن المنصور لم يستطع لها دفعا ، لأنها كانت من الحق بحيث لا يمكن دفعها . هذه الفقرة التي يذكر فيها خيانة المنصور لقوم استأمنوه فآمنهم ، ثم غدر بهم ، ونقض عهده ، وأخذهم على غرة وهم عزل من كل سلاح . وقد وقع هذا الخطاب وقوع الصاعقة في قصر المنصور ، فاهتم به اهتماماً كبيراً ، وانتدب الكتاب والأمراء للرد عليه ، ولكنهم لم يوفقوا إلى إرضائه فيما كتبوا ، فتولى الرد بنفسه ، وأملى هذه الرسالة .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، إلى

محمد بن عبد الله : أما بعد ، فقد بلغني كلامك ، وقرأت كتابك ، فإذا جل
غفرك بقرابة النساء ، لتضل به الجفاسة والوعناء ؛ ولم يجعل الله الدساء
كالعمومة والآباء ، ولا كالعصبة والأولياء ؛ لأن الله جعل العم أبا وبدأ به
في كتابه على الوالدة الدنيا ، ولو كان اختيار الله لمن على قدر قرابتهن
كانت آمنة أقربهن رحما ، وأعظمن حقا ، وأول من يدخل الجنة غدا ،
ولكن اختيار الله لخلقه على عليه لما مضى منهم واصطفائه لهم .

وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب وولادتها ، فإن الله لم يرزق
أحدا رزق الإسلام ، لا بنتا ولا ابنا . ولو أن أحدا رزق الإسلام
بالقرابة ، رزقه عبد الله أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ؛ ولكن
الأمر لله يختار لدينه من يشاء ؛ قال الله عز وجل : إنك لا تهدي من
أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين . ولقد بعث
الله محمدا عليه السلام وله عمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجل : وأنذر
عشيرتك الأقربين . فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان : أحدهما أبي :
وأبي اثنان : أحدهما أبوك ، ففقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه
وبينهما إلا ولا ذمة ولا ميراثا .

وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذابا ، وابن خير الأشرار ،
وليس في الكفر بالله صغير ، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير . وليس
في الشر خيار ؛ ولا يلغى لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار ، وسترد
فتعلم . « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

أما ما غفرت به من فاطمة أم علي ، وأنها شما ولده مرتين ، ومن فاطمة
أم حسن وأن عبد المطلب ولده مرتين وأن النبي صلى الله عليه وسلم ولدك

سرتين ، نغير الأولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلد هاشم
الإمرة ، ولا عبد المطلب إلا مرة ؛ وزعمت أنك أوسط بنى هاشم نسبا ،
وأصرحهم أما وأبا ، وأنه لم تلدك العجم ، ولم تعرق فيك أمهات الأولاد ،
فقد رأيتك نغرت على بنى هاشم طرا . وانظر ويحك أين أنت من الله غدا ،
فإنك قد تعديت طورك ، ونغرت على من هو خير منك نفسا وأبا ، وأولا
وآخر ، ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ولد ولده .
وما خيار بنى أبيك خاصة ، وأهل الفضل منهم ، إلا بنو أمهات أولاد .
وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن حسين ،
وهو لأم ولد ، وهو خير من جدك حسين بن حسن ؛ وما كان فيكم
بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدته أم ولد ، وهو خير من أبيك . ولا
مثل ابنه جعفر ، وجدته أم ولد ، وهو خير منك .

أما قولك إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله تعالى
يقول في كتابه : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، ولكنكم بنو ابنته .
وإنها لقراءة قريبة ، ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ،
ولا تجوز لها الإمامة ، فكيف تورث بها ؟ ولقد طلب بها أبوك بكل
وجه ، فأخرجها نهارا ، ومرضها سرا ، ودفنها ليلا ، فأبى الناس إلا الشيخين
وتفضيلهما . ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين ، أن
الجد أبا الأم والخال والخالة لا يرثون . وأما ما نغرت به من علي
وسابقتة ، فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة ، فأمر غيره
بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه . وكان في الستة
فتركوه كلهم ، دفعا له عنها ، ولم يروا له حقا فيها . أما عبد الرحمن فقدم

عليه عثمان ، وقتل عثمان وهوله مُتَّهِم . وقاتله طلحة والزبير . وأبي سعد بيعته ، وأغلق دونه بابه ، ثم بايع معاوية بعده . ثم طلبها بكل وجه ، وقاتل عليها ، وتفرق عنه أصحابه ، وشك فيه شيعة قبل الحكومة ، ثم حَكَّم حَكَمين رضى بهما ، وأعطاهما عهده وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه ، ثم كان حسن ، فباعها من معاوية بخرق ودرهم ، ولحق بالحجاز ، وأسلم شيعة بيد معاوية ، ودفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالا من غير ولائه ولا حِلِّه ، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه ، وأخذتم ثمنه . ثم خرج عمك حسين بن عليّ على ابن مرجانة ، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه ، وأتوا برأسه إليه . ثم خرجتم على بني أمية ، فقتلوك وصلبوك على جذوع النخل ، وأحرقوك بالنيران ، ونفوكم من البلدان ، حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان ، وقتلوا رجالكم ، وأسروا الصبية والنساء ، وحملوهم بلا وطاء من المحامل ، كالصبيّ المجلوب إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم ، فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسنيننا سلفكم وفضلنا ، فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت أنا ذكرنا أباك وفضلنا ، للتقدمة مناله على حمزة والعباس وجعفر ، وليس ذلك كما ظننت . ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلبا منهم . مجتمعا عليهم بالفضل ، وابتلى أبوك بالقتال والحرب ، وكانت بنو أمية تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا له ، وذكرناهم فضله ، وعنفناهم وظلناهم بما نالوا منه . ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم ، وولاية زمزم ، فصارت للعباس من بين إخوته ، فإزعنا فيها

أبوك ، ففضى لنا عليه عمر ، فما نزل عنها في الجاهلية والإسلام . ولقد قحط أهل المدينة ، فلم يتوسل عمر إلى ربه ، ولم يتقرب إليه إلا بأبينا ، حتى نعشهم الله وسقاهم الغيث ، وأبوك حاضر لم يتوسل به . ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه وسلم غيره . فكان وارثه من عمومته . ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده . فالسقاية سقايته ، وميراث النبي له ، والخلافة في ولده . فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام ، في دنيا ولا آخرة ، إلا والعباس وارثه ومورثه . وأما ما ذكرت من بدر ، فإن الإسلام جاء والعباس يُمون أباطال وعياله ، وينفق عليهم ، للأزمة التي أصابته ، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرها ، لمات طالب وعقيل جوعا ، أو يلحسا جفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسُّبَّة ، وكفناكم النفقة والمؤونة ، ثم فدى عقيلًا يوم بدر ؛ فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحرنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدر كنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا إلا أنفسكم . والسلام عليك ورحمة الله . .

وقد أتيت بهاتين الرسالتين ، لأضع أمام القارىء صورة من حرب الأقطام ، وهي لم تكن أقل عنفا وشدة من حرب السهام . وكما كانت رسالة محمد بن عبد الله قوية جدا ، كذلك كانت رسالة المنصور في غاية

القوة، ومنتهى الشدة، فاستطاع أن يرد على خصمه رداً مفجأ، وأن يهدم مفاخر العلويين هدماً تاماً، ويقيم على أنقاضها مفاخر العباسيين، وأن يقضى على نظرية العلويين في الحكم قضاء مبيناً، مدللاً على قوله بالقرآن والسنة والإجماع؛ فبين أن العم أحق بالوراثة من البنت، وأن العباس قد ورث النبي، فطبيعي أن يرثه أبناؤه من بعده. وذكر المنصور أن العلويين إن كان لهم بعض حق فيها، فقد باعه حسن لمعاوية بخرق ودراهم، وغير العلويين بنكرانهم الجميل، وكفرهم النعمة. فقد نهض العباسيون وجاهدوا في سبيل الثأر لهم، حتى نصرهم الله ووقفهم، وأدركوا الثأر، وأذلوا الأمويين، وأذهبوهم من الوجود، ومع كل هذا لم يجدوا من أبناء عمهم إلا عقوقاً وجحوداً.

(٣) الحديث

والحديث كما تعلم جزء من الأدب. وقد اجتهد العلويون في وضع الأحاديث الكثيرة التي تثبت حق عليّ في الخلافة، والتي ترفع من شأنه وتعلي من مقامه. وقد بلغت الأحاديث التي وضعها الشيعة آلافاً. ويتضمن كتاب الكافي، وهو عندهم بمنزلة صحيح البخاري عند السنين، طرفاً منها. قال ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة^(١)، «واعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم حملهم، على وضعها عداوة خصومهم».

(١) المجلد الثالث طبع مطبعة الحلبي ص ١٧.

ثم قال : « فلما رأَت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث ، وقال في موضع آخر : « فلما رأَت الشيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا في وضع الأحاديث . » .
وهكذا ظل القوم يتنافسون في الوضع ، ويتسابقون في ميدان الكذب . وكان المرامون والمستضعفون من الرجال يضعون الأحاديث في فضائل عثمان وغيره من الصحابة ، ويتقربون بها إلى بني أمية ، الذين كانوا يجزلون لهم العطاء ، ويمنحونهم الجوائز والهبات . ثم أخذ الشيعة في وضع أحاديث تقتضي نفاق قوم من أكابر الصحابة والتابعين الأولين وكفرهم وفسقهم ، فقابلهم خصومهم بمطاعن كثيرة في علي وفي ولديه ، ونسبوه تارة إلى ضعف العقل ، وتارة إلى ضعف السياسة ، وتارة إلى حب الدنيا والحرص عليها . ولم يسكت المحدثون الراسخون في علم الحديث عن هذا ، بل ذكروا كثيرا من هذه الأحاديث الموضوعة ، وبينوا وضعها ، وأن رواها غير موثوق بهم . ومثال ذلك ما روى عن علي بن أبي طالب أنه قال :

« خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ مررنا بنخل ، فصاحت نخلة بأخرى هذا النبي المصطفى وعلي المرتضى ، ثم جزناها فصاحت ثانية بثالثة موسى وأخوه هارون ، ثم جزناها فصاحت رابعة بخامسة هذا نوح وإبراهيم ، ثم جزناها فصاحت سادسة بسابعة هذا محمد سيد المرسلين ، وهذا علي سيد الوصيين فتبسم ثم قال يا علي : إنما سمي نخل المدينة صيحانا لأنه صاح بفضل وفلك . . وهذا الحديث أورده الإمام السيوطي في كتاب اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة

مرويا عن ابن الجندی ثم ذکر أن ابن الجندی هذا كان شیعيا ضعيفا فی الروایة . ثم أورد السیوطی آراء علماء الحدیث فیہ وقد أجمعوا علی أنه موضوع .

ومثال آخر وهو ماروی عن محمد بن آیوب ومحمد الأسدی ومحمد ابن یونس الکردیمی « النظر إلى علی عبادة ، ذکر السیوطی أن محمد بن آیوب مشهور بروایة الموضوعات ، ومحمد الأسدی ومحمد بن یونس الکردیمی مشهوران بالكذب . وما رواه حفص بن عمر الإیلی من أن النبی قال لعلی حین خرج لغزوة تبوک :

« المدينة^(١) لا تصلح إلا بی أو بك وأنت منی بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانی بعدی . » قال ابن حبان : حفص كذاب یحدث عن الأئمة بالبواطیل .

ولم یكتف العلویون بوضع الأحادیث التي تؤید وجهة نظرهم السیاسیة ، بل وضعوا أحادیث تثبت أن علیا اختصه الله بما لم یختص به أحدا من البشر ، ومنحه من العلم والذكاء والشجاعة والحلم وسائر الفضائل ما لم ینح غیره من الناس . ومثال ذلك ماروی عن ابن عباس أنه قال « قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : أنا مدينة العلم وعلی بابها ، أنكره ابن الجوزی وقال إنه موضوع .

وقد كان للفرس نصیب وافر فی وضع الأحادیث التي ترفع من شأن

(١) الآلیء المصوعة فی الأحادیث المصوعة للسیوطی طبع مصر من ١٧٧٠ .

على وآله ، وقد أقر بعضهم بذلك ومنهم ميسرة^(١) بن عبد ربه الذى اعترف بأنه وضع سبعين حديثاً فى فضل على .

ومن أمثلة ما وضعه خصوم الشيعة ماروى من أن يهوديا أتى أبا بكر فقال : والذى بعث موسى وكله تكليماً إني لأحبك ، فلم يرفع أبو بكر رأسه تهاونا باليهودى ، فهبط جبريل ، وقال : يا محمد : إن العلى الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك قل لليهودى الذى قال لأبى بكر إني أحبك ، إن الله قد حاد عنه فى النار خلتين ، لا توضع الأنكال فى عنقه ولا الأغلال فى عنقه لجهه أبا بكر ، فأخبره ، فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، وما ازددت لأبى بكر إلا حبا ، فقال « هنيئاً لك ، أحاد الله عنك النار بمخذافيرها ، وأدخلك الجنة لحبك أبا بكر ، أتى به السيوطى فى كتابه الآنف الذكر ، وقد أنكره أئمة الحديث . وحديث آخر روى عن النبى أنه قال « يبعث معاوية يوم القيامة وعليه رداء من نور » ، جزم ابن الجوزى وابن حبان بأنه موضوع .

كثرت وضع الأحاديث كثيرة هائلة . وقد روى عن الإمام أبى حنيفة أنه لم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثاً ، ولم يصح عند الإمام مالك إلا ثلثمائة حديث . ولم يصح عند البخارى إلا ٢٦٠٠ من أكثر من ٦٠٠٠٠٠ حديث سمعها الناس .

وقد تجاوزوا فى الوضع والكذب دائرة الأشخاص إلى القرآن ،

(١) محصر علم الحديث لابن كثير هامس ص ٨٣ .

فهذه الآية تشفى من مرض كذا وتلك تذهب الفقر وتجلب الغنى وهكذا .
ومتال ذلك ماروى عن أبي هريرة أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء ، ورووا أن النبي قال : « من كانت له حاجة فليتوضأ وضوءا جيدا ، ثم يلزم موضعا لا يراه أحد فيصلى أربع ركعات ، يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشر مرات ، وفى الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشرين مرة ، وفى الثالثة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة ، وفى الرابعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد أربعين مرة . فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة ، ثم يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم خمسين مرة ثم يستغفر الله سبعين مرة ، فإن كان عليه دين قضى الله دينه ، وإن كان فقيرا أعناه الله ، وإن كان غريبا رده الله إلى أهله ، وإن كان عليه من الذنوب حشو الدنيا يغفر الله له ، وإن لم يكن له ولد فيسأل الله يرزقه ولدا ،

وقد انغمس فى الكذب والافتراء فريق من عرفوا بالتقوى والورع والنسك والزهد . فترتب على هذا أن الشعوب الإسلامية أصبحت العوبة فى يد فريق من الناس يسيرونها وفق أهوائهم ، ويستغلونها لمنفعتهم الخاصة باسم الدين وهم من أبعد الناس عن الدين . وقد أتر هذا فى حياة المسلمين وأدى بهم إلى نوع من الذل والعبودية وضرب من التأخر والانحطاط .

(٤) القصص

قيل إن معاوية كتب إلى عماله « أن^(١) انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأذنوا بجالسهم وقرّبهم وأكرمهم ، واكتبوا إلى بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته ، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء ويفيضة في العرب منهم والموالي ، فكثرت ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يحىء أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حيناً ، ولما كثرت الروايات في مناقب عثمان كتب معاوية إلى عماله ليحملوا الناس على الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا يتركوا منقبة يرووها أحد من المسلمين في أبي تراب إلا ويأتوا بمناقض لها في الصحابة مفتعلة ، فقرئت كتب معاوية على الناس في مختلف الأمصار فتسابق القوم في اختلاق المناقب وإلصاقها بكثير من الصحابة وجدوا في ذلك إلى أبعد حد ، وأشادوا بتلك المناقب على المنابر ودفَعوا بما اختلقوا إلى معلّمي الكتاتيب فعملوا صيانيهم وغلبانهم من ذلك الكثير حتى حفظوه كما يحفظون القرآن ، وعلّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم ولما تولى الحجاج العراق ، واشتدت وطأيه على العلويين ، تقرب إليه أهل النسك والصلاح ببغض علي وعيبيه والظعن فيه ، كما أنهم أثبتوا قدرة

(١) شرح ابن أبي الحديد المجلد الثالث ص ١٥ وما بعدها .

فائقة على الكذب والافتراء فأضافوا قسطا وافرا إلى ما وضعه أسلافهم من الفضائل والمناقب وأصبوها بكثير من زعماء المسلمين الأولين .
فلما رأى العلويون ذلك عمدوا إلى مقابلة هذه الحركة بضدها وبرهنوا على أنهم لا يقلون عن خصومهم في القدرة على الوضع والاختلاق .
فصنعوا المناقب الكثيرة لصاحبهم ، ونسبوا إليه كل فضيلة ، واجتهدوا في ذلك اجتهادا كبيرا .

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضارها ، ومجلى حليتها . كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ ، وله اقتنى ، وعلى مثاله احتدى . وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم . ومن كلامه عليه السلام اقتبس ، وعنه نقل ، وإليه انتهى ومنه ابتداء . فان المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل ، وأرباب النظر ، ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه ، لأن كبيرهم وأصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه عليه السلام .

ومن خوارق العادات ما رواه صاحب الأغاني^(١) من أن عليا عزم على الركوب ، فلبس ثيابه ، وأراد لبس الخنف ، فلبس أحد خفيه ثم هوى إلى الآخر فانقض عقاب من السماء فخلق به ثم ألقاه فسقط منه أسود^(٢) وانساب فدخل جحرا فلبس علي بن أبي طالب الخنف . وفي ذلك يقول السيد الحميري :

(٢) الأسود : العظم من الحيات .

(١) ص ٦٠١

ألا يا قومُ للعجبِ العُجابِ لُخْفٌ أبايَ الحُسينِ وللحُبابِ
أبى خُفًّا له فانساب فيه لَيْشَشَ رِجْلَهُ مِنْهُ بِنَابِ
فَخَرَّ مِنَ السَّمَاءِ لَهُ عُقَابٌ مِنَ الْعُقَبَانِ أَوْ شِبْهِ الْعُقَابِ
فَطَارَ بِهِ فَلَاقَ نُمًّا أَهْوَى بِهِ لِلْأَرْضِ مِنْ دُونَ السَّحَابِ
إِلَى جُحْرٍِ لَهُ فَانَساب فيه بَعِيدِ الْقَعْرِ لَمْ يُرْتَجِ بِنَابِ
كَرِيهُ الْوَجْهِ أَسْوَدُ ذُو بَصِيصٍ حديدُ النَّابِ أَرْزَقُ ذَوْلَعَابِ
وَدُوْفِعَ عَنِ أَبِي حَسَنِ عَلِيٍّ نَقِيعُ سُمَامِهِ بَعْدَ انْسِيَابِ

ولما شاع التدوين وانتشر التأليف ظهرت كتب كثيرة في مناقب
أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من أصحاب رسول الله . ذكر ياقوت^(١)
أن الطبري « رجع إلى طبرستان فوجد الرفض قد ظهر ، وسب أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهلها قد انتشر ، فأملى فضائل أبي بكر
وعمر حتى خاف أن يجرى على لسانه ما يكرهه فخرج منها من أجل
ذلك ، .

قال ابن أبي الحديد^(٢) « ولقد كان الفريقان في غيبة عما اكتسباه
واجترحاه ، ولقد كان في فضائل علي عليه السلام الثابتة الصحيحة
وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصية لهما ، فإن
العصية لهما أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل ،
ومن تعديد المحاسن إلى تعديد المساويء والمقايح . »

(١) معجم الأدباء ج ١٨ / ٨٥ . (٢) المجلد الثالث طبع الحلبي ص ١٧ .

كانت هذه الكتب الكثيرة التي ألفت عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي مبنية على الخيال ، فيها أساطير وخرافات فهي قصص أدبية فيها لذة كبيرة ومتعة عظيمة . وقد انتشرت هذه القصص بين الجمهور خصوصا مادار منها حول علي وأبنائه وُسُغف العامة بها شغفا عظيما وأقبلوا على تلاوتها في مجالس السمر . ومن هذا القبيل قصص كتبت في عصور مختلفة عن آل البيت مثل السيدة زينب حارسة مصر ، والحسن والحسين والسيدة نفيسة والسيدة عائشة والخضر وغير هؤلاء . ثم تجاوز الأمر آل البيت إلى الأولياء والأقطاب ، فوضعت كتب عن السيد البدوي ، والسيد أحمد الرفاعي ، وابراهيم الدسوقي ، وعبد الرحيم القنأني ، والسيد أبي الحجاج .

وهكذا اجتهد المسلمون شيعيين وسنيين في نشر الخرافات والأوهام والأساطير والأباطيل حول زعماء المسلمين من آل البيت وغيرهم فتأثرت بها عقائد العامة وتصوراتهم في العصور المختلفة ، وترتب على ذلك أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تركوا الإسلام الصحيح الذي يقوم على التوحيد ، واتخذوا أربابا كثيرين يدعونهم من دون الله إذا مسهم الضر .

فترى من هنا أن التشيع قد أخرج نوعا من الأدب كان سببا في الهبوط بالمسلمين إلى هوة سحيقة من التأخر والانحطاط . وقد أفلح الوهابيون في القضاء على كثير من هذه الخرافات في داخل بلادهم ، أما في الأقطار الإسلامية الأخرى فالحال باقية كما هي عليه حتى بين طبقة المتعلمين .

(٥) اتتحال القول

ولم يقف أثر التشيع في النثر العربي عند ما قدمناه بل تعداه إلى شيء آخر ، وهو وضع أدباء الشيعة لأقوال وخطب ورسائل وإسنادها إلى أئمتهم وبخاصة علي بن أبي طالب . فقد أخذ ما ينسب إليه من خطب وأمثال وحكم يزداد يوما بعد يوم ، حتى أتى الشريف الرضى لجمع كل ما ينسب إليه في كتاب ضخيم سماه نهج البلاغة . ونحلوه كلاما يخلو من أشيع الحروف في الكلمات وهو حرف الألف . ولا يعقل أن يظهر مثل هذا التكلف قبل عصر العباسيين .

ونحلوه من مصطلحات علم الكلام أقوالا لم تعرف ولا يعقل أن تعرف قبل ترجمة المفردات الإغريقية بما لها من غرائب النحت والاشتقاق ومثال ذلك « وإنك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا ، ولا في روياي خواظرها فتكون محدودا مصرفا » . وما ينسب إليه قوله « سلوني قبل أن تفقدوني ، فإن بين كتفي علما جمًّا خبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام إليه صعصعة ابن صوحان ، فقال له يا أمير المؤمنين : متى يخرج الدجال ؟ فقال له أقعد يا صعصعة ، فقد علم الله جل ثناؤه مقامك ، ولكن له علامات وهنات وأشباه يتلو بعضها بعضا حذو النعل بالنعل تكون في حول واحد فإن شئت نباتك بعلاماته . فقال عن ذلك سألتك يا أمير المؤمنين ، قال له : أعقد بيدك يا صعصعة . إذا أمات الناس الصلاة ، وأضاعوا

الأمانيّة، واستحلوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيدوا البناء، واتبعوا الأهواء، وباعوا الدين بالدنيا، واستخفوا بالدماء، وكان الحلم ضعفا، والظلم نفرا، والأمراء فجرة، ووزراؤهم وأمناؤهم خونة، وقرائهم فسقة، ويظهر الجور، ويكثر الطلاق وموت الفجاءة، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطولت المنابر، وخربت القبور، ونقضت العهود، واستعملت المعازف، وشربت الخمر^(١).

فظاهر من هذه القطعة أنها لا يمكن أن تصدر إلا عن شخص عاش في العصر العباسي الثاني، حينما انغمس الناس في الترف والنعيم، فأنشأوا القصور الفخمة، وأقاموا المساجد العظيمة، وتأنقوا في بنائها وزخرفوها وبرعوا في زخرفتها. وشملت عنايتهم جميع فروع الحياة من ملبس ومأكل ومسكن. وتفتنوا في كتابة المصاحف وتجليتها بالذهب والفضة، وأبدعوا في ذلك إبداعا عظيما. فأين كل هذا من عصر علي؟

. وعلاوة على ما تقدم فإن أدباء الشيعة وضعوا كثيرا من القطع الأدبية والخطب والرسائل التي تؤيد مذهبهم وتدعم رأيهم أو التي ترفع من شأن علي وأبنائه، وأجروها على ألسنة أشخاص مختلفين. ومثال ذلك ما رواه أبو علي القالي^(٢) في كتاب الأمل من أن معاوية قال لضرار الصدائي: يا ضرار صف لي عليا رضي الله عنه. قال أعفني يا أمير المؤمنين. قال لتصفه. قال: أما إذ لا بد من وصفه، فكان والله بعيد

(١) نهج البلاغة .

(٢) أمالي القالي - ٢ ص ١٤٩ .

المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن . كان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيت في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه وقد مثل في محرابه ، قابضا على لحيته ، يتململ تملل السليم ، ويبكي بكاء الحزين . ويقول يا دنيا غري غري . إلى تعرضت ؟ أم إلى تشوفت ؟ هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها . فعمرك قصير ، وخطرك حقيق . آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ووحشة الطريق . فبكي معاوية ، وقال : رحم الله أبا الحسن « وفي رواية أخرى فبكي معاوية ووكف دموعه على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه : وقد اختنق القوم بالبكاء ، وقال رحم الله أبا الحسن » . كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدها في حجرها .

أما بعد ، فهل كان معاوية يجهل عليا ويحتاج إلى من يصفه له ؟ كلا ! لقد كان معاوية يعرف عليا معرفة جيدة ولا يجهل شيئا من أخلاقه وعاداته .

ثم إنك ترى بعد ذلك أن معاوية ومن معه بكوا حتى كادوا

يختنقون من البكاء ، تدفقت دموعهم ، وانهمرت عِبْرَاتِهِمْ . ثم ترى معاوية يقول : رحم الله أبا الحسن .

وقد سبق لك أن عرفت أن معاوية كان يوصي عماله بأن يخطبوا خطبهم في المساجد بسب علي وآل بيته والترحم على عثمان والاستغفار له . قال معاوية للغيرة « لا تتحم عن شتم علي وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم وترك الاستماع لهم ويطراء شيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع لهم ، وقد قتل كثيرين ممن رفضوا أن يتبرأوا من علي » .

فإذا من السهل علينا أن ندرك أن هذه القطعة موضوعة ، وقد أخفق واضعها فيما أراد ولم يوفق فيما سعى .

وقد أفرد ابن عبدربه في كتاب العقد الفريد فصلا خاصا للوافدات على معاوية من نساء زعماء الشيعة اللاتي قتل أزواجهن في الحرب ، ومن الوافدات عليه سودة ابنة عمارة ، وبكارة الهلالية والزرقاء ، وأم الخير بنت الحريش . وقد روى الشعبي أقوال هؤلاء النسوة مع معاوية ، وفيها مدح لعلي واعتذار لمعاوية وطلب الصفح والعفو . وتنتهي هذه الأقوال بأن يسأل معاوية كلا منهن عن حاجتها ويجزل لهن العطاء ويردهن إلى ديارهن إلا لروى بنت عبد المطلب فإنها لم تسأله شيئا وانصرفت وهي غاضبة نائمة ، ساخطة على الدهر ما فعل بآل علي . ونحن مضطرون إلى الشك في صحة هذه الأقوال لأنها أتت عن طريق الشعبي وهو شيعي يكره الأمويين وقد خرج عليهم مع عبد الرحمن بن الأشعث

أيام الحجاج وعفا عنه بنو أمية أخيرا ، وبعض الشيعة مشهورون بالكذب والاختلاق . انظر إلى كثير حين يقول في محمد ابن الحنفية :

هو المهندى خبرناه كعب أخو الأخبار في الحقب الخوالي
فلما قيل هل رأيت كعبا . قال : لا ، قيل له فلم قلت خبرناه كعب
قال : بالتوهم .

وفضلا عما تقدم فإن الشعبي كان يشرب الخمر ، ولم يكن متمسكا
بأهداب الدين والفضيلة .

ولعل من أروع ما أتى به صاحب العقد الفريد المناظرة بين المأمون
والعلماء واحتجاجه عليهم في فضل علي . فقد روى أن المأمون جمع
أربعين عالما من المتفقيين في الدين وكان علي رأسهم إسحاق بن إبراهيم
ابن إسماعيل بن حماد بن زيد . وبدأ المأمون حديثه معهم بقوله « إن
أمير المؤمنين يدى الله على أن على بن أبى طالب خير خلفاء الله بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأولى الناس بالخلافة له . » وهذه المناظرة
طويلة وممتعة فليرجع إليها القارىء إن شاء . وهى من غير شك من وضع
أحد دعاة الشيعة . وقد أورد ابن عبد ربه فى مكان آخر ما نصه « قال
المأمون لعل بن موسى : علام تدعون هذا الأمر ، قال : بقراءة على
وفاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له المأمون : إن لم تكن
إلا القرابة فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته من
هو أقرب إليه من على أو من هو فى قعدده . وإن ذهبت إلى قرابة فاطمة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الأمر بعدها للحسن والحسين ،

فقد أبتزهما على حقهما وهما حيان صحيحان فاستولى على مالا حق له فبه فلم يجد على بن موسى جواباً .

فالكلام الذى نسب إلى المأمون فى فضل على وإن كان من وضع الشيعة أنفسهم إلا أن الثابت أن المأمون كان يميل إلى العلويين ، وقد عهد بولاية العهد من بعده إلى على بن موسى الذى سبق ذكره ولكن هذا مات قبل أن يتولى مقاليد الأمور وقد ادعى الشيعة أنه مات مسموما ، وربما كان هذا صحيحا ، فلعل المأمون رأى رأيا ثم بدا له غيره فتخلص من على بأن دس له السم . والدليل على ذلك أن المأمون أجرى ولاية العهد بعد وفاة على فى العباسيين مع أنه كان قادرا على اختيار شخص آخر من العلويين لو أنه ثبت على رأيه الأول .

الفصل الثاني

خطباء الشيعة

الإمام علي

مولده: ولد قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة . وكانت ولادته بمكة بالكعبة . وفي ذلك يقول السيد الحميري :

ولدته في حرم الإله وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها وبدت مع القمر المنير الأسعد
مالف في خرق القوايل مثله إلا ابن آمنة النبي محمد

ثقافته وتهذيبه: حفظ الإمام علي القرآن حفظاً جيداً ووعى الحديث وتفقه في الدين ، وتأثر فصاحة الرسول وبلاغته ، كما وقف على كثير من شعر من سبقه من الشعراء ، فلا عجب أن كان فارساً من فرسان البلاغة ، وعلمياً من أعلام البيان . قال الأستاذ محمد حسن ناثل المرصني^(١) « بهذه الخصال الثلاث — يعني جمال الحضارة الجديدة ، وجلال البداوة القديمة ، وبشاشة القرآن الكريم — امتاز الخلفاء الراشدون . ولقد كان المجلي في هذه الحلبة على صلوات الله عليه . وما أحسبني أحتاج في إثبات هذا إلى دليل أكثر من نهج البلاغة ، ذلك الكتاب الذي أقامه

(١) في مقدمة شرحه لنهج البلاغة .

الله حجة واضحة على أن عليا رضى الله عنه قد كان أحسن مثال حي لتور القرآن وحكمته ، وعلمه وهداياته ، وإعجازه وفصاحته .
وقد سبق أن ذكرنا أن الخطب التي تنسب إلى علي بن أبي طالب جمعت كلها في كتاب ضخم سمي « نهج البلاغة » . والآن تريد أن تتكلم عن هذا الكتاب الذى هو أثر من أنفس الآثار التي تركها التشيع في الأدب العربي .

نهج البلاغة

كان الكلام الذى ينسب إلى علي مدونا في كثير من الكتب . وقد بقي كذلك حتى جاء الشريف الرضى فحسن له بعض أصدقائه كما قال أن يجمع ما يعزى إلى علي من خطب ومواعظ وحكم ، وما صدر عنه من رسائل . قال في مقدمة النهج : « وسألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوى على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ، ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وآداب ، علما أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية مما لا يوجد مجتمعا في كلام ولا بمجموع الأطراف في كتاب ... فأجبتهم إلى الابتداء بذلك ، علما بما فيه من عظيم النفع ، ومشور الذكر ومدخور الأجر » .

ترتيب الكتاب : قال الشريف الرضى : « ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة : أولها الخطب والأوامر ، وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ . فأجمعت بتوفيق الله على الابتداء

باختيار محاسن الخطب ، ثم محاسن الكتب ، ثم محاسن الحكم والأدب ، مفردا لكل صنف من ذلك بابا ، ومفصلا فيه أوراقا لتكون مقدمة لاستدراك ماعساه يشذ عن عاجلا ، ويقع إلى آجلا . وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار ، أو جواب سؤال ، أو غرض آخر من الأغراض في غير الأنحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته إلى ألبق الأبواب به ، وأشدها ملاءمة لغرضه . وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ، ومحاسن غير منتظمة ، لأنى أوردت النكت واللمع ، ولا أقصد التتالى والنسق .

محتوياته : ضم كتاب نهج البلاغة بين دفتيه ٢٤٢ خطبة وكلاما و ٧٨ كتابا ورسالة و ٤٩٨ كلمة من روائع الحكم وجوامع الكلم .

شروحه : شروح هذا الكتاب تليف على الحسين . والمعروف منها الآن لدى الناس :

١ — شرح ابن أبى الحديد . وهو عبد الحميد بن هبة الله الجدائنى المشهور بابن أبى الحديد . ولد عام ٥٨٦ هـ وتوفى عام ٦٥٦ هـ أهدها إلى الوزير ابن العلقمى رئيس الشيعة ببغداد في ذلك الوقت ، وفي أيام هذا الوزير زالت الخلافة العباسية من الوجود . وابن أبى الحديد وإن ادعى أنه معتزلى إلا أنى أشك في هذا الإدعاء وأعتقد أنه كان شيعيا متعصبا . وقد طبع هذا الشرح بمصر عام ١٣٢٩ بمطبعة الحلبي . وهو أشهر الشروح التي ظهرت لهذا الكتاب .

٢ — شرح كمال الدين بن ميثم النجرانى . وهو من علماء القرن

السابع الهجرى . قضى شطرا من حياته ببغداد ، وقد جاء فى مقدمة شرحه « جعلت هذا الكتاب ، بعد كتاب الله وكلام رسوله ، مصباحا أستضىء به فى الظلمات ، وسلما أعرج به إلى طبقات السموات ، وقد فرغ منه فى رمضان من عام ٦٧٧ هـ . وطبع ببلاد فارس سنة ١٢٧٤ هـ ويقع فى نحو أربعائة صفحة من الحجم الكبير .

٣ — شرح ميرزا حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمى العلوى الموسوى الأذربجانى . وهو من علماء إيران . كان حيا فى عام ١٣٠٣ هـ . وقد أهدى شرحه إلى شاه إيران مظفر الدين خان . وهذا الشرح ضخيم جدا فى أربعة أجزاء من الحجم الكبير يتألف كل جزء من أربعائة صفحة . طبع ببلاد فارس عام ١٣٥١ هـ وأطلق عليه اسم « منهاج البراعة ومشروع الفصاحة » .

٤ — شرح الشيخ محمد عبده وهو لا يقاس بالنسبة لغيره من الشروح إذ اقتصر فيه صاحبه على إيضاح الصعب من المفردات .

لقد اهتم أدباء الشيعة بشرح هذا الكتاب اهتماما كبيرا ، وبالغوا فى الإسهاب والتطويل ، وملتوا شروحمهم بالخرافات والخزعبلات التى تضحك الثكلى .

منزله : ورد فى مقدمة شرح حبيب الله لكتاب نهج البلاغة ما نصه « هو كتاب فى الاتقان تلو الفرقان ، لكونه مواعظ أمير المؤمنين عليه السلام ، وكلماته المشهورة على لسان المسلمين ، المشتملة على اثبات

الصانع ، وإظهار البدائع ، والتوحيد بالبرهان القاطع ، والبيان النافع والحكمة والموعظة الحسنة ، والقصص والأمثال .

وقال محمد حسن تاييل المرصفي : «اجتمع لعلى (ع) فى هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء ، وأفذاذ الفلاسفة ، ونوابغ الربانيين من آيات الحكمة السامية ، وقواعد السياسة المستقيمة ، ومن كل موعظة ياهرة ، وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر . خاض على فى هذا الكتاب لجنة العلم والسياسة والدين ، فكان فى كل هذه المسائل نابغة مبرزاً . ولئن سألت عن مكان كتابه من الأدب بعد أن عرفت مكانه من العلم ، فليس فى وسع الكاتب المسترسل ، والخطيب المصقع ، والشاعر المفلق أن يبلغ الغاية فى وصفه ، والنهاية فى تقريله .»

وقال محمد عبده « تأملت جملاً من عباراته من مواضع مختلفات ، وموضوعات متفرقات . فكان يخيل لى فى كل مقام أن حروباً شبت ، وغارات شنت . وأن للبلاغة دولة ، ولل فصاحة صولة ، وأن للأوهام عرامة ، وللريب دعارة ، وأن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة ، فى عقود النظام ، وصفوف الانتظام تنافح بالصفائح الأبلج ، وألقويم الأملج وتمتلج المهج بروائع الحجج ، فتقل من دعارة الوسائس ، وتصيب مقاتل الخوانس ، فما أنا إلا والحق منتصر ، والباطل منكسر ومرج الشك فى خمود ، وهرج الريب فى ركود . وأن مدير تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوأها الغالب ، أمير المؤمنين على ابن أبى طالب .

« بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع ، أحس بتغير المشاهد

وتحول المعاهد . فتارة كنت أجدنى فى عالم يعمره من المعانى أرواح
عالية ، فى حلل من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية ،
وتدنو من القلوب الصافية توحى إليها رشادها ، وتقوم منها مرادها ،
وتنفر بها عن مداحض النزال إلى جواد الفضل والكمال . وطورا كانت
تنكشف إلى الجمل عن وجوه باسرة ، وأنياب كاشرة ، وأرواح فى أشباح
النور ومخالب النسور ، قد تحفزت للوثاب ثم انقضت للاختلاب ،
نخلبت القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماها . واغتالت
فاسد الأهواء ، وباطل الآراء .

أما بعد ، فقد أتيت هنا بأقوال ثلاثة رجال فى كتاب نهج البلاغة
وهى قطع مديح التى بغير حساب ظنا من كاتبها أنهم يظفرون برضا الله
ورسوله إن هم أزجوا هذا المديح . ولم يحاول أحد منهم أن يتناول النهج
تناولا علميا يعود على القارىء بالنفع .

بحث وتحقيق : وقد رأيت لزاما على فى هذا المقام أن أتناول نهج
البلاغة بالبحث والتحقيق سالكا فى ذلك سبيل العلماء الذين يفيدون
القراء بما يقدمون لهم من حقائق ناطقة . أما هؤلاء الذين لا هم لهم إلا
إرسال المدح والثناء فمهمتهم هيئة لينتة ، فما أيسر أن تقول « هو كتاب فى
الاتقان تلو الفرقان » ، وما أسهل أن تنمق فى مدحه الألفاظ كما نمقها
الشيخان حسن نايل المرصنى ومحمد عبده . ولكن هذا لا يفيد القارىء
فى كثير أو قليل . وبما أنى لم أخرج هذا الكتاب لأمدح فيه أو أقدم ،

بل حرصت فيه كما يرى القارىء على إظهار الحقائق وإبرازها ، لذلك لم أسر في الطريق التي سار فيها هؤلاء المادحون .

صاحب النهج : في كتاب نهج البلاغة أمور كثيرة تجعلنا نشك في نسبة أكثر ما فيه إلى الإمام على . وهذا رأى سبقنا إليه القدماء . قال ابن أبي الحديد « كثير من أرباب الهوى يقولون إن كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة . وربما عزوا بعضه إلى الرضى "أبي الحسين وغيره" .

غير أن القدماء لم يشرحوا لنا أسباب الشك . أجل ! لقد أبدوا ارتياحهم ثم صمتوا . وقد رأيت لزاما على أن أتناول أسباب الشك في نسبة ما في النهج إلى عليّ بشيء من التفصيل .

أسباب الشك :

(أولا) سبق أن ذكرنا أن نهج البلاغة قد ضم بين دفتيه ٢٤٢ خطبة وكلاماً ، ٧٨ كتاباً ورسالة ، ٤٩٨ حكمة . وهذا العدد الهائل لم يدون إلا في العصر العباسي . وليس من شك في أن حفظ هذا المقدار الضخم من الأمور المتعددة . ومن هذه الخطب ما هو طويل جدا وليس من السهل وعيه وتذكر ألفاظه بعد أجيال . فقد بلغ عهد عليّ للأشتر النخعي مائتين وخمسين سطرا . وبلغت بعض خطبه مائتي سطر ، وبعضها ينقص قليلا عن المائتين . وإذا علمنا أن القرآن على عظيم خطره ، وجليل

شأنه كان مظنة أن يضيع لو لم يتداركه المسلمون الأولون ، رأينا أنفسنا مسوقين إلى النظر بعين الارتياب فيما جاء منسوباً إلى علي في هذا الكتاب . وما الداعي إلى كتابة مثل هذا العهد المفرد في الطول ولم يكن الأشر غريباً عن علي بل كان من أقرب الناس إليه . ولم يسبق أن كتب أحد من الخلفاء عهداً في مثل هذا الطول ؟؟

(ثانياً) إذا ألقيت نظرة على الخطب المنسوبة لعلي لم تتمالك نفسك من الضحك ، وذلك لما جاء في كثير منها من أمور وقعت بعد عصر علي كقيام الدولة الأموية ، وسقوطها والقضاء على الأمويين قضاء مبرماً بغير رحمة ولا شفقة ، وقيام دولة بني البعاس ، وظهور الفتن والقلاقل وانتشار الحروب والثورات ، وترك الناس للدين وانغماسهم في الترف والنعيم . وقد سبق لنا أن أوردنا مثلاً لذلك عند الكلام على « انتحال القول ، ولا نرى بأساً من أن نورد للقارىء مثلاً آخر ليزداد إيماناً على إيمان إن لم يكن قد اطلع على النهج . فما ينسب إليه قوله « فوالذي نفسى بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها^(١) وقائدها ، وسائقها ومناخ ركبها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلاً ، ويموت منهم موتاً ،

ألا إن أخوفَ الفتنِ عندي عليكم فتنةُ بني أميةَ ، فإنها فتنةٌ عمياء مظلمة ، عمت خُطبتها وخصَّت بليتها ، وأصاب البلاء من أبصر فيها ، وأخطأ البلاء من عمى عنها . وإيم الله لتجدنَّ بني أميةَ لكم أربابَ سوءٍ بعدى كالنَّابِ الضروسِ تعدمُ بنفيا ، وتخبُطُ بيدها ، وتزبنُ برجلها

وتمنعُ درَّها . لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائرٍ بهم . ولا يزالُ بلاؤُهُم حتى لا يكونَ انتصارُ أحدِكُم منهم إلا كانتصارِ العبد من ربِّه ، والصاحبِ من مُستصحبِهِ . تردُّ عليكم فتنتُهُم شوهاً مَحْشِيَةً ، وقِطْعاً جاهليَّةً ، ليس فيها منارٌ هُدى ، ولا علم يُرى ، نحن أهل البيت فيها بمنجاةٍ ، ولسنا فيها بدعاة . ثم يفرجُها الله عنكم كتفريج الأديم . بمن يسومُهُم خسفاً ، ويسوقُهُم عُنفاً ، ويسقيهم بكأسٍ مُصَبَّرَةٍ ، لا يعطيهم إلا السيف ، ولا يجاسُهُم إلا الخوف . فعند ذلك تودُّ قريشٌ بالدنيا وما فيها لو يروني مقاماً واحداً ، ولو قد رَجَزَ رَجَزُورٍ لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يُعطونني .

وأنت واجد خطبا كثيرة من هذا النوع . وهي من غير شك موضوعة ومحمولة على الإمام عليّ الذي لم يكن علام الغيوب . فهل هذه الخطب بلغت من الإتيان ما يجعلها تلو الفرقان ؟؟ وهل ترى فيها ما رآه محمد عبده حين يقول « وأن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة في عقود النظام ، وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الأبلج ، والقويم الأملج وتمتلج المهج بروائع الحجج ، فأين هو القويم الأملج ؟؟ وأين هي روائع الحجج ؟؟

(ثالثاً) وأمر ثالث يجعلك تزداد شكاً وارتياباً وهو أن كثيراً من الخطب اشتمل على علوم لم تعرف في المجتمع الإسلامي إلا بعد عصر عليّ بزمن طويل ، كدقائق علم التوحيد ، وأبحاث الرؤية والعدل ، والتوسع في كيفية كلام الخالق وابتعاده عن صفات الجسم وكيفيةاته ، وتنزهه عن مجانسة مخلوقاته ، كما تناولت موضوعات وصفية لم يطرقتها

يسلبون إلا في عصور متأخرة كوصف النملة والخفاش والطاووس .
ومثال ذلك قوله من خطبة يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق
آدم « الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصى نعماء العادون ،
ولا يؤدي حقه المجتهدون . الذي لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص
الظن . الذي ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود : ولا وقت
معدود ، ولا أجل ممدود . فطر الخلائق بقدرته ، ونشر الرياح برحمته ،
وتدب الصخور ميدان أرضه . أول الدين معرفته ، وكال معرفته التصديق
به ، وكال التصديق به توحيديه ، وكال توحيديه الإخلاص له وكال
الإخلاص له ، نفي^(١) الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ،
وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه وتعالى فقد
قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله ومن
جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه فقد حده ، ومن حده فقد عدده . ومن
قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال علام فقد أخلى منه . كائن لا عن حدث ،
موجود لا عن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة .
فاعل لا بمعنى الحركات والآلة . . الخ . .

وفي هذه الخطبة اصطلاحات لم تعرف في عصر الإمام علي ، بل
عرفت بعده بقرون ، كما أن التعبيرات التي انطوت عليها هذه الخطبة لم تظهر
إلا على أيدي علماء الكلام في العصر العباسي . وعلاوة على ما تقدم فإنها
رتبت ترتيبا منطقيا يبدأ بمقدمة تنتهي إلى نتيجة هي نفي الصفات عن الله ،
وهذا أمر كان موضع خلاف شديد بين الفرق الإسلامية ولم يعرف إلا
في أيام العباسيين . فهي بلا ريب موضوعة على الإمام علي ، وهي ليست

(١) هذا كلام أرسطو الذي لم يعرف إلا بعد عصر الترجمة .

في الإتيان تلو الفرقان ، ولا أجد فيها ما وجده محمد عبده من الصفيح

الأبلج والقويم الأملج الذي يمتلج المهج بروائع الحجج .

(رابعا) وأمر رابع يجعلك تمنع في الشك وتسرف في الارتياب

وهو أنك تجد في خطب كثيرة روحا غريبا عن الإسلام ، فيها تناقض

مع أحكام الدين الحنيف وأصوله ، وفيها روح ضار جدا بالمجتمع

الإسلامي والحضارة الإسلامية . ترى فيها دعوة إلى الرهينة وترك ما أحل

الله من الطيبات في هذه الحياة الدنيا . ومثال ذلك قوله يخاطب شخصا

يسمى «نوبا» طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة . أولئك

قوم اتخذوا الأرض بساطا ، وترابها فراشا ، وماءها طيبا ، والكتاب

شعارا ، والدعاء دثارا ، وقرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح بن مريم

فإن الله عز وجل أوحى إلى عبده المسيح بن مريم أن مر بنى اسرائيل

ألا يدخلوا بيوتا من بيوتى إلا بقلوب طاهرة ، وأبصار خاشعة ، وأيد

نقية . فإنى لا أستجيب لأحد منهم دعوة لأحد من خلقى قبله مظلمة .

يانوف لا تكونن شاعرا ولا عشارا^(١) ولا شرطيا ولا عريفا^(٢)

ولا صاحب كوبة^(٣) ولا صاحب عرطبة^(٤) ،

وليس من المعقول أن يصدر مثل هذا القول من على . وكيف

ينهى الناس عن أن يكونوا شعراء ، وهو نفسه كان شاعرا ونسب إليه

ديوان مشهور بين الناس ؟؟ كيف ينهى الناس عن أن يكونوا شعراء

والإسلام أباح لهم ذلك ، والنبي كان ممن يطربون للشعر ويحرضون

(١) الذى يجمع العشور .

(٢) منصب دون الرئيس .

(٣) الكوبة الطبل .

(٤) عرطة : العود وهو من آلات الطرب .

على قوله ؟؟ وكيف ينهى عليّ الناس عن أن يكونوا عشارين أو من رجال الشرطة ؟؟ ومن يجمع أموال الدولة ومن يسهر على حفظ الأمن والنظام فيها ؟؟ وفي هذه الخطبة تحريص على قرض الدنيا على منهاج المسيح بن مريم . وما شأن المسلمين بمناهج المسيح ولهم من سنة رسولهم خير مرشد وأفضل دليل .

لا شك في أن نسبة مثل هذه الخطبة للإمام عليّ تحط من شأنه ، وتضع من منزلته . ونحن نجل الإمام عليا وننزهه عن قول مثل هذه الخطب التي لا أرى أنها في الإتيقان تلو الفرقان . ولا أرى فيها ما رآه محمد عبده من الصفيح الأبلج والقويم الأملج الذي يمتلج المهج بزوائج الحجج .

(خامسا) وأمر خامس يجعلك تجزم بأن جل ما في النهج ليس لعلّيّ وهو الاختلاف العظيم في أساليب الخطب . ترى كلاما مرسلا على سجيته بغير تكلف ولا تصنع ومثال ذلك قوله من إحدى خطبه « أنبئت بسرا قد اطلع اليمين ، وإني والله لأظن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ، وبمعصيتكم إمامكم في الحق ، وطاعتهم إمامهم في الباطل . . . الخ » .

على حين أنك ترى له نوعا آخر من الخطب يظهر فيه آثار الصنعة والتكلف المرذول ، والحرص الشديد على السجع وغير ذلك مما لم تعرفه العرب في عصر عليّ ، بل عرف في عصور متأخرة جدا ومثال ذلك ما ينسب إليه « الحمد لله المعروف من غير رؤية ، والخالق من غير رؤية . الذي لم يزل دائما قائما إذ لا سماء ذات أبراج ،

ولا حجبٌ ذات أرتاج ، ولا ليلٌ داج ، ولا بحرٌ ساج ، ولا جبلٌ
ذو فجاج ، ولا فجٌ ذو إعوجاج ، ولا أرضٌ ذات مهاد ، ولا خلقٌ
ذو اعتماد . »

وقوله في وصف السماء « ونظم بلا تعليق رهوات فُرُجِها ولَا حَمَ
صدوع انفراجها ، ووشج بينها وبين أزواجها ، وذال للهابطين
بأمره ، والصاعدين بأعمال خلقه حزوة معراجها ، ناداها بعد إذ هي
دخان فالتحمت عرى أشراجها . »

وانظر إلى الحرص على الجناس في قوله « أرسله لإنفاذ أمره ،
وإنهاء عذره ، وتقديم نذره ، وأحصاءكم عددا ، ووظف لكم مددا ،
في قرار خبرة ، ودار عبرة . غرور حائل ، وضوء آفل ، وظل زائل ،
وسناد مائل » .

ثم تأمل قوله « فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها
واحلوت له الأمور بعد مرارتها ، وانفجرت عنه الأمواج بعد تراكمها ،
وأسهلت له الصعاب بعد انصبابها ، وهطلت عليه الكرامة بعد
قحوظها وتحديت عليه الرحمة بعد نفورها ، وتفجرت عليه النعمة بعد
نضوبها ، ووبلت عليه البركة بعد رذاذها . » ترى فقرا متساوية في
عدد كلماتها وفي التزام كلمة « بعد » في كل منها واشتمال كل فقرة على
طباق ، فضلا عن أنها تدور كلها حول معنى واحد . فالآثار الأدبية
التي وصلت إلينا من عصر عليّ تختلف عن هذا النمط المتكلف اختلافا
كثيرا وتبتعد عنه ابتعادا ظاهرا . وهذا شيء يرغمنا على رفض نسبة

تلك الخطب إلى الإمام علي ، وهي ليست تلو الفرقان في الإتيان ، ولا أرى فيها ما رآه محمد عبده من الصفيح الأبلج ، والقويم الأملج الذي يمتلج المهج بروائع الحجج .

(سادسا) وأمر سادس يدفعك إلى رفض كثير مما ينسب لعلي ، وهو أنك ترى خطبا كثيرة فيها وصف للحياة الاجتماعية على نحو لم يعرف إلا في عصور متأخرة . ترى في هذه الخطب طعنا على الوزراء والأمراء والحكام والولاة والعلماء والقضاة ، طعنا شديدا في السلوك والأخلاق وفي الذمم والضمائر ، ووصفا للقضاة بالجهل وعدم المعرفة بأحكام الشريعة . ومثال ذلك ما ينسب إليه « إن أبغض الخلائق إلى الله رجلٌ وكله الله إلى نفسه ، فهو جائرٌ عن قصد السبيل ، مشغوفٌ بكلام بدعة ، ودعاء ضلالة . فهو فتنة لمن أفتن به ، ضالٌ عن هدى من كان قبله ، مضلٌ لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته ، حمالٌ خطأيا غيره ، رهنٌ بخطيئته . ورجلٌ قمش جهلا ، موضعٌ في جهال الأمة ، عادٍ في أغباش الفتنة ، عمٌ بما في عقد الهدنة . قد سماه أشباه الناس عالما وليس به . بكرٌ فاستكثر من جمع ما قل منه خيرٌ مما كثر ، حتى إذا ارتوى من آجنٍ واكتنز من غير طائل ، جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره . فإن نزلت به إحدى المبهمات هيا لها حشوا رثا من رأيه ، ثم قطع به . فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ . فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ ، وإن أخطأ رجح أن يكون قد

أصاب ، جاهلٌ خَبَّاطٌ جهالاتٍ ، عاش رَكابُ عَشَوَاتٍ ، لم يَعْضَ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ ، يُذِرِي الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ ، لا مَلِيَّةٌ وَاللَّهِ يَأْصُدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَلا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوضَ إِلَيْهِ . لا يَحْسِبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ وَلا يَرَى أَنَّ مِنْ وِرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَبًا لغيره . وَإِنْ أَظْلَمَ أَمْرًا كَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ نَفْسَهُ . تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءُ وَتَعَجُّ مِنْهُ المَوَارِيثُ . إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جَهَالًا وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا ، لَيْسَ فِيهِمْ سَلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُتْلَى حَقًّا تِلَاوَتِهِ ، وَلا سَلْعَةٌ انْفَقَ يَبِيعًا وَلا أَغْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَلا عِنْدَهُمْ أَنْكَرٌ مِنَ المَعْرُوفِ ، وَلا أَعْرَفَ مِنَ المُنْكَرِ .

وَمَا يَنْسَبُ إِلَيْهِ وَفِيهِ وَصْفٌ لِحَالَةِ الفُوضَى الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا القَضَاءُ وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَعْرِفْ إِلَّا فِي العَصْرِ العَبَّاسِيِّ « تَرُدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ القَضِيَّةُ فِي حَكْمٍ مِنَ الأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ، ثُمَّ تَرُدُّ تِلْكَ القَضِيَّةُ بَعِينَهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ القَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيَصُوبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا . وَاللَّهُمُّ وَاحِدٌ ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ . وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ . أَفَأَمْرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالِاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ ؟ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى . . . الخ ، فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ القَضَاءَ فِي أَيَّامِ عَلِيٍّ كَانُوا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أُمَّةٌ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِمْ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ . وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ آجِنٌ يَرْتَوُونَ مِنْهُ ، بَلْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ سِوَى القُرْآنِ ، وَلَمْ يَظْهَرْ هَذَا الإِخْتِلَافُ العَظِيمُ الَّذِي نَرَى صُورَتَهُ فِي هَذِهِ الخُطْبِ ، قَطَعْتَ بِأَنَّهَا مِنْ وَضْعِ قَوْمٍ عَاشُوا بَعْدَ عَلِيٍّ بَزْمِنٍ

طويل ، وكتبوا ما كتبوا ثم نسبوه إلى علي اعتقاداً منهم بأن فيها ما يرفع شأنه ويسمو بمنزلته . وهي من غير شك ليست في الإتيان تلو الفرقان . ولم أجد فيها ما وجدته محمد عبده من الصفيح الأبلج والقويم الأملج الذي يمتلج المهج بروائع الحجج .

(سابعاً) وأمر سابع يسلمك إلى الريية في هذا الكتاب . ترى فيه خطبا كثيرة تروى أموراً لا يقبلها العقل من شأنها لو صحت أن تؤيد حق علي في الخلافة . ومثال ذلك ما ينسب إليه : « ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله ، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة ، فقال هذا الشيطان أيس من عبادته . إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست ببني ، ولكنك وزير ، وإنك لعلي خير ، .

وقوله : « ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن رأسه لعلي صدرى . ولقد سألت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي ، ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعوانى فضجت الدار والأفنية ملاً يهبط وملاً يعرج ، وما فارقت سمعى هينمة منهم يصلون عليه ، حتى وأريناه في ضريحه ، فمن ذا أحق به حيا وميتا . »

وأظن أن القارىء سيضحك معي حينما يقرأ « إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست ببني ولكنك وزير ، وإنك لعلي خير ، . ومعنى هذا أن علياً كان يسمع الوحي كما يسمعه الرسول ويراه كما يراه الرسول لكنه ليس ببني وإنما هو وزير ، ولا أدري ما وظيفة الوزير هنا وما عمله ؟ . ولا شك في أنك ستغرق في الضحك حينما تقرأ « ولقد

وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعوانى فضجت العار والأفنية ،
ملاً يهبط وملاً يعرج ، ، فالملائكة هنا قد نزلوا من السماء أفواجا
يساعدون الإمام علياً في مهمته وهى غسل رسول الله . ولا جدال فى
أن علياً أعقل بكثير من أن يرسل مثل هذا القول . وليس فى نسبته
إليه ما يشرفه . وكيف يقال بعدئذ إن نهج البلاغة فى الاتقان تلو الفرقان؟
وهل فى مثل هذا رأى محمد عبده الصفيح الأبلج والقويم الأملج يمتلج
المهج بروائع الحجج ؟ .

(ثامناً) وأمر ثامن يجعلك ترتاب فيما جاء بنهج البلاغة منسوبا
إلى الإمام عليّ . وهو أنك تجد خطبا طال فى صدرها حمد الله ، وهذه
عادة لم تعرف إلا فى العصر العباسى فى خطب الجمع والأعياد التى تلقى
فى المساجد ، ولم تظهر قط فى أيام عليّ . ومثال ذلك « الحمد لله كلما وقب
ليل وغسق ، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق ، والحمد لله غير مفقود الإناعام
ولا مكافئ الإفضال ، وغير هذا كثير .

(تاسعا) وأمر تاسع يريك فيما ورد منسوبا لعليّ فى نهج البلاغة
وهو أنك تجد خطبا فيها ذكر الوصى والوصاية ، مع أن علياً لم يقل هذا
قط ولم تظهر خرافة الوصى إلا بعد مقتله . ومثال ذلك قوله وقد عنى
آل البيت « هم أساس الدين ، وعماد اليقين ، إليهم نبيء الغالى ، وبهم
يلحق التالى ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة » ،
وقوله « ومالى لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها فى
دينها . لا يقتصون أثر نبي ولا يقتصدون بعمل وصى » ، فهل كانت فى
عصره تلك الفرق التى يشير إليها ؟ أم أنها ظهرت بعده بزمن غير قصير ؟ .

(عاشرا) وأمر عاشر يقودك إلى الريبة في نسبة ما جاء في النهج إلى علي ، وهو أنك تجد خطبا فيها معنى واحد عبر عنه بما يزيد على عشر جمل ومثال ذلك قوله : « لا انفصام لعروته ، ولا فك لحلقته ، ولا انهدام لأساسه ، ولا زوال لدعائه ، ولا انقلاع لشجرته ، ولا انقطاع لمدته ، ولا عفاء لشرائعه ، ولا جذ لفروعه ، ولا ضنك لطرقه ، ولا سواد لوضحه ، ولا عوج لا تصابه ، ولا عصل^(١) في عوده ، ولا وعت لفجحه ، ولا انطفاء لمصاييحه ، ولا مرارة لحلاوته ، فهذا إسهاب عمل وإسفاف لافائدة منه ولا خير فيه ، وهو بما لم يعرفه المسلمون الأولون .

في الميزان : أما بعد ، فقد وضعنا نهج البلاغة أمامك في الميزان ، وأطلعناك على ما يشككنا في نسبة أكثر ما جاء فيه إلى علي ، وضررنا للناس الأمثال لعلهم يقتنعون . وهناك خطب قليلة باقية فيها روح على . ولكنها لم تسلم من التحريف والتصحيف والتقديم والتأخير والزيادة والنقصان ، وذلك أمر طبيعي في كل ما تأخر تدوينه من الخطب والرسائل وإنك ل تجد هذه الخطب القليلة رويت بروايات فيها اختلاف كبير .

أما الأمثال والحكم فعظمها هندی وفارسی عرفه العرب بعد عصر الترجمة . ولا أدري كيف نسبوها إلى علي ؟ .

خطباء آخرون

كان أئمة الشيعة ينشرون دعوتهم بين الناس سرا، فلم يجدوا أمامهم مجالا للقول فيقولوا، ولا محلا للخطابة فيخطبوا . ولم يظهر بعد على من الخطباء سوى الحسن والحسين . وجل ما ينسب إليهما موضوع - وليت شعري من الذي روى خطبة الحسين في كربلا وقد استشهد كل من معه من الرجال ، ؟؟ .

ولفاطمة خطب تنسب إليها وقد روى عنها كثيرا من الأحاديث ، ولعلي بن الحسين رسالة تعرف برسالة الحقوق . وعلى الجملة فقد اجتهد أدباء الشيعة في وضع الخطب والرسائل وجمع الحكم والأمثال والأدعية ونسبها لأئمتهم .

الباب الثالث

الفصل الأول

في الشعر

اتتحال الشعر

نشط أدباء الشيعة نشاطا عظيما في وضع الشعر الذي يرفع من شأنهم ويقوى من دعائم مذهبهم . ويحط من شأن أعدائهم . وأجروا هذا الشعر على السنة أممتهم وعلى السنة قوم آخرين . وقد كثر ذلك الشعر حتى شغل مكانا بينا في الأدب العربي . وكانوا أحيانا يزيدون في قصائد بعض الشعراء ما يؤيد رأيهم ويدعم حججهم في الخلافة وحق علي فيها . وقد ظهر هذا الاتتحال في مظاهر مختلفة .

(١) شعر أبي طالب

لقد وضعوا كثيرا من القصائد ونسبوها إلى أبي طالب ليثتوا بذلك إسلامه ، وحسن بلائه في الدين ودفاعه عن النبي وحمایته له ، وجهاده في سبيل الإسلام ، فما ينسب إليه قوله :

ولما رأيتُ القَوْمَ لا وُدَّ فيهم وقد قَطَّعوا كلَّ العُرَى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طأَوْعُوا أمرَ العدوِّ المزائلِ

ومنها :

كذَّبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ نُبِزَى مُحَمَّدًا ولما نطاعنُ دونهُ وتناضلِ
ونسلمه حتى نُصرَّعَ حوله ونذهلَ عن أبنائنا والحلائلِ
وينهضَ قومٌ بالحديدِ إليكمُ
نهوضَ الرّوايا^(١) تحتَ ذاتِ الصّلاصلِ^(٢)

ومنها :

وأبيض^(٣) يُستسقى الغمامُ بوجهِهِ
يلوذُبه الهلاكُ^(٤) من آلِ هاشمِ
ونحنُ الصّميمُ من ذُؤابةِ هاشمِ
وسهمٍ ومخزومٍ تمالأوا فألبوا
فعبدَ منافٍ أنتمُ خيرُ قومِكُم
ثمال^(٥) اليتامى عصمةً للأراملِ
فهمُ عنده في رَحمةٍ وفواضِلِ
وآلِ قُصَيِّ في الخطوبِ الأوائلِ
علينا العدا من كلِّ طملي وخاملِ
فلا تُشركوا في أمرِكُم كلَّ واغلي

وهي طويلة أورد منها ابن هشام أربعة وتسعين بيتا ثم قال : « هذا ما صح لي من هذه القصيدة . وبعض أهل العلم بالشعر يتكرأكثرها . »

ومثال آخر مما ينسب إلى أبي طالب .

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فاصدع بأمرِك ما عليك غضاضةً
حتى أوَسَدَ في الترابِ دَفِينا
وانشُرْ بِذَاكَ وقرَّ مِنْكَ عُيوننا

(١) جمع راوية وهو البعير أو البغل .

(٢) وذات الصلاصل هي المزايدة التي يتقل فيها الماء ، والصلاصل جمع صلصلة بضم

الصادين وهي بقية الماء في الاداوة .

(٣) كريم .

(٤) العباد .

(٥) الفقراء والصعاليك .

وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِينًا
وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْخِيفَةُ أَنْ يَكُونَ مَعْرَةً لَوَجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ أَمِينًا
ففي هذا الشعر تكلف ظاهر وتصنع واضح . ترى فيه أبا طالب
يظهر استعداده للموت في سبيل الرسول ويأمره بالاستمرار في نشر
الدين في غير خوف ولا وجل ويعترف له بالصدق في دعواه ويقر بأن
الإسلام من خير أديان البرية دينا . هو يعترف بذلك كله ويؤمن به
ولكنه لا يعتنق الإسلام خشية العار . وأى عار هذا الذي خشيه
أبو طالب ولم يخشاه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحزرة وغير هؤلاء من
عظماة قريش وغير قريش . لو أن أبا طالب آمن حقا كما يظهر من هذا
الشعر ، لجاهر بذلك ولأعلن إسلامه كما أعلنه غيره من قبل ومن بعد .
وكيف يخشى المؤمن الناس والله أحق أن يخشاه ؟ ؟

(٢) شعر علي

ونظموا شعرا كثيرا ونسبوه إلى الإمام علي . ومثال ذلك ما روى
من أن معاوية كتب إلى علي رسالة جاء فيها .
إن^(١) لي فضائل كثيرة ، كان أبي سيدا في الجاهلية ، وصرت ملكا
في الإسلام ، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخال المؤمنين
وكاتب الوحي . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أبا الفضائل تفتخر
عليّ يا بن آكلة الأكباد ؟ أكتب إليه يا غلام .

(١) معجم الأدباء ج ١٤ ص ٢٨ .

محمدُ النبيُّ أخِي وصهرِي وحمزةُ سيِّدُ الشهداءِ عَمِي
وجعفرُ الذي يُضجِي ويُمسِي يَطِيرُ مع الملائِكَةِ ابنُ أُمِّي
وبنتُ محمدٍ سَكَنِي وعَرَسِي مشوبٌ لحمُها بدمِي ولحمِي
وسبطا أحمدٍ ولدايَ منها فأَيُّكُمْ له سهمٌ كسهمِي
سبقتُكُمْ إلى الإسلامِ طرا صغيرا ما بَلَغتُ أو أن حُلِيي
وأوصاني النبيُّ على اختيارِ بِبَيْعَتِهِ غَدَاةَ غديرِ خُمِّ
فويلٌ ثمَّ ويلٌ ثمَّ ويلٌ لمن يلقى الإلهَ غداً بظُلْمِ
قال^(١) أبو عثمان المازني : لم يصح عندنا أن علي بن أبي طالب عليه
السلام تكلم من الشعر بشيء غير هذين البيتين :

تلكم قريشٌ تمناني لَتَقْتُلَنِي ولا وجدك ما برؤا وما ظفروا
فإن هلكتُ فرهنٌ ذمِّي لهم بذاتِ روقين^(٢) لا يعفو لها أثرٌ

وحكى عن يونس النحوى أنه قال : ما صح عندنا ولا بلغنا أنه قال
شعرا إلا هذين البيتين . ولكن صاحب الأغاني^(٣) ذكر في ترجمة حسان
ابن ثابت ما يفيد أن عليا كان يقول الشعر . قال « كان يهجو رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من قريش : عبد الله بن الزبعرى ،
وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص . فقال قائل
لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه : اهج عنا القوم الذين قد هجونا ،
فقال علي رضي الله عنه : إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) معجم الأدباء ج ١٤ ص ٢٦ - (٢) يقال داهية ذات روقين أو ذات ودقين
إذا كانت عظيمة (٣) الأغاني ج ٤ ص ١٣٧

فعلت ، فقال رجل : يا رسول الله ، أئذن لعلّي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا . قال « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » .
وأقول ربما كان علي يقول البيت أو البيتين من حين إلى حين ، ولكنه لم يكن كفوا للوقوف أمام شعراء المشركين . وإن الذي سألت عليا هجاء المشركين كان يجهل مكانة علي في الشعر وظنه قادرا على الرد على المشركين . ونرى علياً يقول لمن سأله : إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت . فكأنه كان واثقا من أن الرسول لن يأذن له بذلك وقد تحقق ظنه ، فقال النبي عنه « ليس عنده ذلك » .
وعلى كل ، فمن المحقق أن الشعر الذي وصلنا منسوباً لعلّي ليس له ، وإنما هو من وضع نفر من أدباء الشيعة ، وجل شعره الذي ينسب إليه ، ضعيف الأسلوب والتركيب ، واهى النسيج والتأليف ، يدرك المرء لأول وهلة أنه وضع في عصور متأخرة . فالفرق عظيم بين أسلوب هذا هذا الشعر ، وأسلوب الشعر في أيام علي بن أبي طالب . ولو أنك تأملت في هذه القصيدة التي مرت بك لأيقنت أنها ليست لعلّي لا سيما البيتين الأخيرين منها . فعلى يقول إن النبي اختاره وصيا على المسلمين من بعده ، ولو أن الأمر كان كما قال لسلم له المسلمون بالخلافة ، ولما نازعه فيها أحد . ولكن قصة غدیر خم خرافة اختلقها الشيعة بعد عصر علي وأسندوها إلى ابن عباس . « قالوا : روى ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن آية « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، نزلت في عليّ كرم الله تعالى وجهه حيث أمر سبحانه وتعالى رسوله أن يخبر الناس بولايته فتخوف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا : حابي ابن عمه وأن يطعنوا

في ذلك عليه . فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية ، فقال بولايته يو
غدير خُم « وهو موضع بين مكة والمدينة ، وأخذ بيده فقال عليه الصلوة
والسلام : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، و
من عاداه . .

لا ريب في أن هذه أسطورة وضعها الشيعة وتكلفوا في وضع
شططا ، فرموا النبي بالجن والخوف وما نعلم عنه ذلك ، لأن سيرته علما
السلام المثل الأعلى في الشجاعة والإقدام . ولم يكن النبي لينحني الناء
والله أحق أن يخشاه . وكيف يأمر الله رسوله بإخبار الناس بولاية
ويتقاعس النبي عن هذا التبليغ ؟؟ ولم لم يذكر الله عليا في القرآن
صراحة إن أراد ولايته ؟؟ .

والشعر المنسوب لعلي مجموع في ديوان مطبوع ومتداول بين الناء
وقد اهتم كثير من أدباء الشيعة بجمعه وطبعه . ولنضرب للقارىء مث
آخر مما ينسب لعليّ .

نصرَ الحجارة من سفاهة رأيه ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصوابِ
فصددتُ حينَ تركته متجدِّلاً كالجدعِ بينَ دَكَدِكَ وروابي
وعففتُ عن أثوابه ولو أني كنتُ المقطرُ بزني أثوابي
لا تحسبنَّ الله خاذلَ دينه ونييه يا معشرَ الأحزابِ

قال ابن هشام : « وأكثر أهل العلم بالشعر يشك في نسبتها لعليّ
أبي طالب ، وقد أورد ابن هشام في سيرته قصائد كثيرة تنسب لعليّ
عقب على كل منها بمثل ما عقب على تلك القصيدة .

ولا أرى بأساً من أن أضع بين يدي القارىء مثلاً ثالثاً وهو قوله :
مالا يكونُ فلا يكونُ بحيلةٍ أبداً وما هو كائنٌ سيكونُ
سيكونُ ما هو كائنٌ في وقته وأخو الجهالةِ متعبٌ محزونُ
يسعى القويُّ فلا ينالُ بسعيهِ حظًّا ويدركُ عاجزٌ موهونُ
فهذا كلام في القدر لم يعرفه المسلمون الأولون إنما عرفوه عند بدء
ظهور علم الكلام ، وهذا بعد على بزم طويل . ثم إن هذا نظم وليس
بشعر . هو نظم العلوم الذي لم يظهر إلا في أيام العباسيين .
وآخر مثل أسوقه للقارىء هو ما روى من أن علياً سمع ناقوساً
يضرب فقال لمن معه ، أتدرون ما يقول هذا الناقوس ، قالوا لا ، قال
فإنه يقول :

نلنا الدنيا فاستهوتنا فاستهوتنا وأذلتنا
واستلبتنا لسنا ندرى فيها إلا لو قد مُتْنَا
واستبدلنا داراً تبقى جهلاً منا داراً تَفنى
يا ابنَ الدنيا زِنْ بالدنيا وزنا وزنا وزنا وزنا
يا ابنَ الدنيا تَفنى الدنيا قرنا قرنا قرنا قرنا

وهذا أسلوب غريب لم يألّفه المسلمون الأولون الذين كانوا يرسلون
القول على أشد ما يكون قوة ومثانة وروعة وجلالة . أما هذا الشعر
الضعيف المتبدل الذي يكرر فيه صاحبه الألفاظ إلى درجة الإسفاف ،
والذي يصنعه صاحبه ويجهد نفسه في صنعته ، ويتكلفه ويتعب نفسه في
تكلفه فلم يخلق إلا في أواخر أيام بني العباس . وقد رتب واضع هذا

الشعر المقدمة ومهد لشعره بقصة صغيرة فجعل عليا يمر ويسمع ناقوسا
ويسأل أصدقاءه عما إذا كانوا يعرفون ما يقول هذا الناقوس فيردون
عليه بالنفي ، عندئذ يخبرهم بما يجهلون بتلك الآيات التي قدمناها .
وعلى الجملة فكل ما جاء في ديوان علي بن أبي طالب يمكن أن يرفض
كما رفضنا ما تقدم .

(٣) على السنة أعدائهم

ووضعوا شعرا كثيرا فيه إعلاء من شأن علي وإشادة بشجاعته
وإقدامه ، واعتراف بحقه في الخلافة ، وأجروا هذا الشعر على السنة
أعدائهم . فمن أمثلة ذلك ما ينسب إلى غلام من بني ضبة كان يحارب في
صفوف عائشة وهو :

نحن بني ضبة أعداء علي ذلك الذي يعرف قدما بالوصي
وفارس الخيل على عهد النبي ما أنا عن فضل علي بالعمي
لكنى أنعى ابن عثمان التقي إن الولي طالبٌ ثار الولي

فأنت ترى في هذا الشعر اعترافا صريحا بحق علي في الوصاية ،
وإشادة بمزاياه وفضله وما وهبه الله من حميد الصفات وكريم الخلال
التي لم يستطع هذا الفتي الذي كان يحارب ضد علي أن يتناساها ، بل
جاهر بها في شعره . ولو أن قائل هذا الشعر كان يؤمن بحق علي في الخلافة
ويقر بفضله لما حارب ضده مع قوم كانوا يريدون إهلاكه والقضاء
عليه والظفر به . ومن هنا تستطيع أن تدرك أن هذا الشعر من وضع
الشيعة أنفسهم .

ولنضرب للقارىء مثلاً آخر. قيل أن عمراً تعرض لعلی فی یوم من أيام صفین ، فحمل علیه علیّ حملة کاد یقضی علیه ، عندئذ ألقى عمرو بنفسه من علی فرسه ورفع ثوبه ، وشغل برجله فبدت عورته فصرف علیّ وجهه عنه ، وقام معفراً بالتراب هارباً علی رجلیه ، معتصماً بصفوفه ..

فقال معاوية :

ألا لله من هفوات عمرو ^(١) ^{یُعَاتِبُنِي عَلِيٌّ تَرَكِي بِرَازِي .}
 فقد لاقى أبا حسنٍ عليّاً ^{فَابِ الْوَائِلِيَّ مَابَ خَازِي}
 فلو لم يُبدِ عورته للاقى ^{بِهِ لِيثًا يَذَلُّ كُلَّ نَازِي .}
 له كفى كأن براحتيها ^{مَنَايَا الْقَوْمِ يَخْطِفُ خَطْفَ بَازِي}
 قيل فغضب عمرو وقال : ما أشد تعظيمك عليّاً في أمری هذا .
 هل هو إلا رجل لقيه ابن عمه فصرعه . أفترى السماء قاطرة لذلك دما .

قال ولكنها تعقبك جينا . ولما شمت معاوية بعمرو قال عمرو في ذلك .
 معاوي لا تشمت بفارسٍ بهمةٍ ^{لَقِيَ فَارِسًا لَا تَعْتَرِيهِ الْفَوَارِسُ}
 معاوي إن أبصرت في الخيل مُقبلاً ^{أَبَا حَسَنِ يَهْوَى دَهْتِكَ الْوَسَاوِسُ}
 وأيقنت أن الموت حقٌّ وأنه ^{لِنَفْسِكَ إِنْ لَمْ تَمُضْ فِي الرِّكْضِ خَالِسُ}
 فإنك لو لاقيته كنت بومةً ^{أُتِيحَ لَهَا صَقْرٌ مِنَ الْجَوِّ آئِسُ}
 وماذا بقاء القوم بعد اختيابه ^{وَإِنَّ أَمْرًا يَلْقَى عَلِيًّا لَا يَسُ}
 دعاك فصمت دونه الأذن هارباً ^{بِنَفْسِكَ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْأَمَالِسُ}
 وتشمت بي أن نالني حدٌ رحمةٍ ^{وَعَضَّعْنِي نَابٌ مِنَ الْحَرْبِ نَاجِسُ}

(١) روى أن علياً طلب من معاوية أن يخرج لمبارزته فرفض .

أبي الله إلا أنه ليثُ غابيةٍ أبو أشبلٍ تُهدى إليه العرائسُ
وروى أن معاوية حرص بعض الناس على لقاء عليٍّ ومبارزته
والقضاء عليه ، فقال في ذلك الوليد بن عقبة :

يقولُ لنا معاويةُ بن حربٍ أما فيكم لواترِكم طلوبُ
يَشُدُّ عليَّ أبي حسنٍ عليٍّ بأسمَرَ لا تُهَجِّنُهُ الكعوبُ
ليشجره بأبيضَ مَقْضِيٍّ ونَقَعُ الحربِ مطرِدٌ يثوبُ
فقلتُ له أتَلعبُ يا ابنَ هندٍ كأنك يَينننا رجلٌ غريبُ
أَتُغْرِينَا بِحِيَّةِ بطنِ وادٍ أُتِيحَ له به أَسَدٌ مَهيبُ
بأضعف حيلةٍ منا إذا ما لَقِينَاهُ وَلَقِيَاهُ عَجيبُ
سوى عمروٍ وقتَه خُصِيَتَاهُ وكان لِقَلْبِهِ منه ورجيبُ
كانَ القومَ لما عاينوه خلال النُقَعِ ليس لهم قلوبُ
كعمرو أي معاوية بن حرب وماظنِّي سَتَلَحَّقَهُ العُيُوبُ
لقد ناداه في الهيجا عليٌّ فأسمعه ولكن لا يُجيبُ

أما بعد ، فلو أن أحد شعراء الشيعة أراد الإشادة بشجاعة علي لما استطاع أن يقول أكثر من هذا ، وليس من المعقول أن يقابل عمرو عليا فيكشف أولهما عورته ، عند ما يحس بخطر الموت ، لينجو بنفسه من الهلاك المحقق . ليس معقولا أن يصدر هذا من رجل في مركز عمرو بن العاص . وأبعد من هذا أن يعيره معاوية بتلك الحادثة . وفضلا عما تقدم فإن معاوية لم يكن شاعرا .

وإنك لتجد في شرح ابن أبي الحديد^(١) كثيرا من القصائد التي تنسب إلى معاوية وعمرو بن العاص وابن عباس والوليد بن عقبة . وكل هذه القصائد فيها مدح كثير للأمام ، وتعظيم لشأنه تعظيما فيه مبالغة وإسراف . وهذا شيء لا ينتظر من قوم عرفوا بشدة بغضهم لعلي ، والإمعان في الكيد له ، والتقليل من خطره ، والتهوين من أمره ، والخط من شأنه .

وقد أسرف أدباء الشيعة في وضع مثل هذه القصائد حتى أنهم وضعوا شعرا ونسبوه إلى جبريل . روى أن الناس في غزوة أحد ، لما تفرق المسلمون عن النبي ووقف على يذود عنه ويرد عادية المشركين ، سمعوا صائحا يصيح في السماء بهذا البيت .

لا سيفَ إلا ذو الفقار . يَروا قتيَّ إلا علي
فسألوا النبي فقال ذلك جبرائيل^(٢) .

(٤) كفر ومجون

كما أنهم وضعوا شعرا كثيرا فيه كفر والحاد ، وفيه خلاعة ومجون ونسبوه إلى اعدائهم من خلفاء بني أمية . ومثال ذلك ما وضعوه على يزيد ابن معاوية .

ليتَ أشياخي بيدر شهدوا جَزَعَ الخزرج من وقع الأَسَلِ
لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيدُ لا تُشَلْ
لعبتُ هاشمُ بالملك فلا خبرُ جاء ولا وحى نَزَلْ

(٢) شرح ابن أبي الحديد .

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٦ ص ١١١ .

لستُ من خندف إن لم اتقم من بني أحمد ما كانَ فعلم
فليس مما يعقل أن يصدر مثل هذا القول من رجل يحكم الناس باسم
الدين، ويسيطر عليهم باسم الدين، ويخضعهم باسم الدين. نعم ليس من
المعقول أن يطعن يزيد في الإسلام الذي لولاه لما كانت هناك خلافة
ولما كان هناك سلطان. وإذا صدقنا أن يزيد كان فيما بينه وبين نفسه
ملحدا، فلا نستطيع أن نصدق أنه يجاهر بهذا ويصرح به في مثل
هذا الشعر.

ومثل آخر أسوقه للقارىء وهو قول أحد أنصار معاوية مخاطبا إياه
أعط عمرا إن عمرا تاركٌ دينه اليومَ لدنيا لم يُحز
أعطه مصرا وزده مثاها إنما مصرٌ لمن عزَّ . وبز
إن مصرا لعلي أو لنا يغلبُ اليومَ عليها من بحج
ففي هذا الشعر ترى أن عمرا ترك دينه وباع آخرته بدنياه
وفضل العاجلة على الآجلة، وذلك بنصره معاوية في حربه ضد علي
وليس مما يصدق العقل أن يجرؤ أحد أتباع معاوية على مخاطبة سيده بمثل
هذا القول.

ومثال آخر وهو مما ياسب إلى عمرو بن العاص .

لما تعرَّضتِ الدنيا عرَّضتُ لها بحرصِ نفسي وفي الأَطباعِ أذهانُ
نفسٌ تعفُّ وأخرى الحرصُ يُغلبُها والمرءُ يأكلُ تبنا وهو غرَّتانُ
أما عليُّ فدينٌ ليس يشركه دنيا وذاك له دنيا وسلطان
فاخترتُ من طمعي دنيا على بصر . وما معي بالذي اختارُ برهانُ

إني لأعرف ما فيها وأبصره وفيّ أيضا لما أهواه ألوان
لكنّ نفسي تُحبُّ العيشَ في شرفٍ وليسَ يَرْضَى بذلَّ العيشِ إنسانُ
وليس أبعد إلى الذهن من تصديق صدور مثل هذا القول من
شخص كعمرو عرف بميله الشديد إلى معاوية وانصرافه عن عليّ . وهو
لم يجد في ذلك كفرا ولا خروجا عن الدين ، ولم ير أنه اختار الدنيا
وأعرض عن الآخرة ، بل كان يعتقد أن الخلافة سلطة زمنية يتسلم
مقاليدها من يصلح لها من الناس . ومعاوية في نظره كان صالحا لها ، فإن
فصره انتظر منه أحسن الجزاء ، وأعظم العطاء .

ومن ^(١) أمثلة هذا الشعر ما روى عن الوليد بن يزيد من أنه دعا ذات
ليلة بمصحف ، فلما فتحه وافق ورقة فيها « واستفتحوا وخاب كل جبار
عنيذ . من ورائه جهنم ويسقي من ماء صديد ، فقال : أسجعا سجعاً !!
علقوه ، ثم أخذ القوس والنبيل فرماه حتى مزقه ، ثم قال :

أتوعدُّ كلَّ جبارٍ عنيذٍ فها أنا ذاك جبارٌ عنيذُ
إذا لاقيتَ ربَّك يومَ حشرٍ فقلْ لله مَرْقِيُ الوليدُ

وليس من المعقول أن يصدر هذا من الوليد بن يزيد مع اعترافنا
بأنه كان يميل إلى اللهو والمجون ، لأنه هو القائل :

أشهدُ أن الدينَ دينَ أحمدٍ فليسَ من خالفه بمهتدي
وأنهُ رَسولُ ربِّ العرشِ القادرِ الفردِ الشديدِ البطشِ
أرسله في خلقه نذيرًا وبالكتابِ واعظًا بشيرًا

ليظهر الله بذلك الديننا وقد جعلنا قبلُ مشركينا

فآثار التكلف ظاهرة على تلك القصة بوضوح وبجلاء، فواضعها جعل الوليد يطلب مصحفا لغير ما سبب، ثم يفتحه، وهنا يظهر التصنع الذي يجعل نظر الوليد أول ما يقع على آية «واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد...» ثم تدرج صانع هذه الأسطورة، فجعل الوليد يقول: أجمعنا نجمعاً علقوه، ثم جعله يأخذ النبل ويرميه حتى يمزقه، ثم أنطقه بهذا الشعر الذي سقناه. ومهما يكن دين الوليد، فمن المستبعد أن يقول «ها أنا ذاك جبار عنيد».

ومثل آخر نسوة للقارىء وهو ما حكى عن الوليد من أنه سمع صياحا فسأل عنه ف قيل له: هذا من دار هشام يبكيه بناته فقال:

إني سمعتُ بليلى ورا المصلى برنة
إذا بناتُ هشام يندبن والدهنة
يندبن قرما جليلا قد كان يعضدهنه
أنا المخنتُ حقا إن لم أنيكنهنه

فظاهر أن البيت الأخير لا يمكن أن يصدر من الوليد. فبنات هشام هن بنات عمه وهو أحق الناس بالمحافظة على أعراضهن.

وقد نسبوا له شعرا ثبت أنه لغيره من شعراء المجون. ومثال ذلك ما رواه صاحب الأغاني «خرج الوليد بن يزيد من مقصورة إلى مقصورة

فإذا هو بينت له معها حاضنتها فوثب عليها فاقترعها ، فقالت له : إنها
المجوسية ، قال : اسكتي ثم قال :
من راقبَ الناسَ ماتَ غمًّا وفازَ باللَّذَّةِ الجسورُ
قال أبو الفرج^(١) : «وأحسب أن هذا الخبر باطل ، لأن هذا
الشعر لسلم الخاسر ، ولم يدرك زمن الوليد» .

(١) الأغاني ج ٧ ص ٦١ .

الفصل الثاني

الشعر عند الشيعة

لقد أغنت حركة التشيع الشعر العربي إلى حد كبير . وكان الشعر الناتج عنها شعرا غزيرا قويا . وسبب ذلك أن الموقف الذي وقفه الشيعة من شأنه أن يلهب العاطفة ويهيجها ويتيرها . والعاطفة أكبر دعامة من دعائم الشعر . وكان للشيعة عواطف بارزة قوية يرجع إليها الفضل في كثرة ما وصلنا عنهم من شعر . العاطفة الأولى عاطفة الغضب ، فإنهم اعتقدوا أنهم سلبوا حقهم وغصبوه . واعتدى عليهم ظلما فحنقوا وغضبوا ، ودفعهم الغضب إلى أن يقولوا شعرا فياضا بالحنق والغیظ على هؤلاء المعتصبين .

أما العاطفة الثانية فهي عاطفة الحزن على ما حل بهم من نكبات جسام ، وما وقع عليهم من مصائب عظام طوال حكم الأمويين والعباسيين . والعاطفة الثالثة عاطفة الحب الشديد لآل البيت ، هذا الحب الذي أخذ يزداد بمرور الأيام ويقوى كلما اشتد اضطهاد الأمويين والعباسيين لأئمتهم .

وإذا نظرنا إلى الشعر عند الشيعة وجدنا أغراضه تنحصر في الأمور الآتية :

(١) المدح

مدح شعراء الشيعة أمتهم بقصائد رائعة ، أظهروا فيها حبيهم وعطفهم لآل البيت ، وإخلاصهم لهم وولاءهم . وقد كان هذا المدح في أول الأمر ساذجا لا غلو فيه ولا إسراف . ومثال ذلك ما ينسب إلى حجر بن عدى الكندى يمدح علياً يوم الجمل :

يا ربنا سلم لنا عليا سلم لنا المبارك المصنيا
المؤمن الموحّد التقيا لا تحطّل الرأي ولا غويا
بل هاديا موقفا مهديا واحفظه ربّي واحفظ النبيا
فيه فقد كان له وليا ثم ارتضاه بعده وصيا
وربما كان البيتان الأخيران قد أضافهما أحد الشيعة ممن عاشوا بعد عصر علي .

ومثل آخر من المدح وهو ما ينسب إلى أحد شعراء الشيعة يذكر نفور قومه إلى علي :

توقّره في فضله ونجّله وفي الله ما نرجو وما تتوقّع
دلفنا بجمع آثروا الحق والهدى إلى ذي تقى في نصره تتسرّع
نكافح عنه والسيوف شهيرة تصافح أعناق الرجال فتقطع

ثم أخذ الشعراء يغنون في المديح شيئا فشيئا . ومثال ذلك ما ينسب للفرزدق في مدح^(١) علي بن الحسين . روى أن هشاما حج قبل أن يلي

الخلافة ، فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه ، وجاء على بن الحسين فوقف له الناس وتحووا حتى استلمه فقال أهل الشام لهشام : من هذا يا أمير ؟ فقال : لا أعرفه . فقال الفرزدق : لكنى أعرفه ، هذا على بن الحسين ، وأنشأ يقول :

هذا الذى تعرفُ البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفُه والحلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلهمُ	هذا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطاهرُ العلمُ
يكاد يمسه عرفانَ راحتهِ	ركنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلمُ
إذا رأته قريشٌ قالَ قائلها	إلى مكارمِ هذا ينهى الكرمُ
إن عدأهلُ القري كاتوا ذوى عددٍ	أوقيلُ من خيرِ أهلِ الأرضِ قيلُهمُ
فليسَ قولكُ من هذا بضائره	العربُ تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ
هذا ابنُ فاطمةِ إن كنتَ تجهله	بجده أنبياءُ اللهِ قد ختموا
في كفه خيزرانُ ريحُه عبقُ	من كفِّ أروعَ في عرينيه شممُ
يغضى حياءً ويُغضى من مهايته	فلا يكلمُ إلا حينَ يبتسمُ

وهى خمسة وعشرون بيتا . وقد شاع بين الناس أنها للفرزدق مع أن من المشكوك فيه أن الفرزدق يرتجل كل هذا في حضرة هشام ولا يجد من يقوم في وجهه من الجالسين . وقد ثبت أن الفرزدق قال أربعة أبيات ، ثم أخذ أدباء الشيعة يزيدون عليها ما ليس منها حتى بلغت خمسة وعشرين بيتا .

ذكر صاحب^(١) الأغاني أن هذين البيتين .

في كفه خيزرانُ ريحُه عبقُ من كفِّ أروعَ في عرينيه شممُ

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَإِ يَكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
قالهما عمرو بن عبيد الشهير بالحزين في مدح عبد الله بن عبد الملك
ابن مروان ، وكان عبد الله من فتيان بني أمية وظرفائهم ، وكان حسن
الوجه حسن المذهب .

قال أبو الفرج ^(١) « والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته
التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام التي أولها .
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
وهو غلط بمن رواه ، وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل علي
ابن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد » .

وقال في موضع آخر « من الناس من ينسب هذه الأبيات لداود بن سلم
في قثم بن العباس ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد مولى قثم فيه . » تم
أورد صاحب الأغاني الأبيات الآتية :

كَمْ صَارَ خِ بَكَ مِنْ رَاجٍ وَرَاجِيَةٍ يَرْجُوكَ يَا قَتْمُ الْخَيْرَاتِ يَا قَتْمُ
أَيُّ الْعِمَائِرِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوْلِيَّةٍ هَذَا أَوْلُهُ نَعْمُ
فِي كَفِّهِ خَيْرٌ رَانَ رِيحُهُ عَبَقُ مِنْ كَفِّ أُرُوعٍ فِي عَرِينِهِ سَمُّ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَإِ يَكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

قال أبو الفرج « وما ذكر لنا الصولي عن العلاءي عن مهدي بن
سابق أن داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأول في

شعره في علي بن الحسين عليه السلام . وذكر الرياشي عن الأصمعي أن رجلا من العرب يقال له داود وقف لقم فناداه وقال :
يكادُ يمسِكُه عرفان راحته ركنُ الحطيم إذا ماجاء يستلم
كم صارخ بك من راجٍ وراجيةٍ في الناس يا قتم الخيرات يا قتم
فأمر له بجائزة سنية ، والصحيح أنها لمالك الحزين في عبدالله بن
عبد الملك . وقد غلط ابن عائشة في إدخاله البيتين في تلك الآيات .
وأبيات الحزين مؤتلفة^(١) منتظمة المعاني متشابهة تنبئ عن نفسها ،

* * *

ومن أمثلة المديح قول الكميث :

بل هَوَايَ الَّذِي أَجُنُّ وَأُبْدِي لِسِي هَاشِمٍ فِرْعَوْنَ^(٢) الْإِنَامِ
لِلْقَرِيبِينَ مِنْ نَدَىِّ وَالْبَعِيدِ نَنْ مِنَ الْجُورِ فِي عُرَى^(٣) الْأَحْكَامِ
وَالْمُصِيبِينَ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّاسُ وَمَرَسِي قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ
وَالْحِمَاةِ الْكِفَاةُ فِي الْحَرْبِ إِنْ لَفَّ فِ ضِرَامٍ وَقُودُهُ^(٤) بِضِرَامِ
وَالغَيْوُثُ الَّذِيْنَ إِنْ أَحْمَلَ النَّاسُ فَمَاؤَى حَوَاضِنِ^(٥) الْأَيْتَامِ

* * *

(١) الأعالى ج ١٤ / ٧٥ .

(٢) الهوى : الميل . أجن : أضمر . أندى : أظهر . وفروع الأنام . أرفعهم وأسماءهم .

(٣) الندى . الكرم . والعري جمع عروة . والأحكام جمع حكم .

(٤) الحماة جمع حامى وهو الذاب عن الحرم .

(٥) الغيوث : جمع غيث وهو المطر والحصب . وأحمل الناس أحدبوا . والمحل : الحدب

والقحط — حواصن الأيتام يرد بهن أمهات الأيتام .

ولما تطورت معتقدات الشيعة وظهرت آراؤهم في الأئمة والقول
بعصمتهم ، وأن الإمام يشفع لأمة يوم القيامة ، جاء ذلك واضحا جليا
في شعر الشعراء الذين بلغوا في الغلو درجة بعيدة . ومثال ذلك قول
ابن هاني الأندلسي يمدح المعز لدين الله الفاطمي :

ما شئتَ لا ماشاءتِ الأقدارُ فاحكمِ فأنْتَ الواحدُ القهارُ
وكأنما أنتَ النبيُّ محمدُ وكأنما أنصاركِ الأنصارُ
أنتَ الذي كانتِ تُبشِّرُنَا بهِ في كُتُبِها الأخبارُ والأخبارُ
هَذَا إمامُ المتقينَ ومن بهِ قد دُوِّخَ الطُّغيانُ والكُفَّارُ
هَذَا الذي تُرْجى النجاةُ بِحِبِّهِ وبه يُحِطُّ الإصرُ والأوزارُ
هَذَا الذي يُجَدِّى شَفَاعَتُهُ غدا حَقًّا وَتَحْمُدُ أَنْ تَرَاهُ النَّارُ
من آلِ أَحَدٍ كُلِّ نَفِيرٍ لم يكنِ ينمى إليهم ليس فيه نِفَارُ
كالبدرِ تحتَ غمامَةٍ من قسطل ضحيان لا يُخْفِيهِ عنكَ سِرَارُ

وقد شاع مثل هذا المديح بين شعراء المسلمين . أنظر إلى المتنبي
حين يقول :

لو كانَ عليكِ بالإلهِ مُقسَما فى الناسِ ما بعثَ الإلهُ رسولا
أو كانَ لفظكِ فيهمُ ما أنزلَ الـ توراةَ والفرقانَ والإنجيلا
وانظر إليه حين يقول :

لو كانَ ذو القرنينِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ لما أتى الظلماتِ صِرْنَ شُموسا
أو كانَ صادفَ رأسَ عازرِ سيفه فى يومِ معركةِ لأعيا عيسى
أو كانَ لُجَّ البحرِ مثلَ يمينه ما أنشَقَّ حتى جازَ فيه موسى

يا من تَلوذُ من الزَّمانِ بظِلِّهِ أبدأُ ونطرُذُ باسمه إبليساً

وقد كثر مدح الشعراء لآل البيت كثرة مدهشة واشترك في هذا المديح شعراء شيعيون وسنيون . وكان مديح آل البيت سببا في ظهور المدايح النبوية ، والاستغاة بآل رسول الله . وقد شغل هذا وذاك مكانا كبيرا في عالم الشعر كما أن هذا المديح في آل علي دفع كثيرا من الشعراء إلى نظم القصائد في مدح أبي بكر وعمر وعثمان فظهر ما نراه من القصائد البكرية والعمرية والعثمانية .

(٢) الرثاء

كانت مجزرة كربلاء التي قتل فيها الحسين وما حل بالعلويين بعدها دافعا قويا للشعراء أنطقهم بكثير من القصائد التي تسيل العبرات ، وتذيب القلوب ، وتفقت الأكباده . ولا غرابة في ذلك فهي صدى لتلك الدماء التي سفكت بغير حساب ، والأشلاء التي تناثرت وتركت على الأرض طعاما للطير ، والجثث التي أحرقت وذريت في الهواء ، والأجسام التي صلبت وبقيت مصلوبة أياما تنبعث منها الروائح الكريهة ، والقبور التي هدمت وحرث مكانها وزرع . وقد كثر الشعر في رثاء آل البيت كثرة هائلة ، وكله صادر من أعماق النفوس ، منبعث من قرارة الأفتدة . فكان للأدب العربي من ذلك تروة لا تقدر . ومن أمثلة ذلك ما ينسب لزوجته الحسين .

إنَّ الذي كان نورا يُستضاء به بِكربلاء قتيلاً غيرُ مدفونٍ

سَبَطَ النَّبِيُّ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً
قد كنت لي جبلا صعبا ألوذُ به
مَنْ لِلتَّامَى وَمَنْ لِلسَّائِلِينَ وَمَنْ
وَاللهِ لَا أَبْتَغِي صَهْرًا بِصَهْرِكُمْ
عَنَا وَجَنَّبْتَ خُسْرَانَ المَوَازِينِ
وَكُنْتَ تَصْحَبُنَا بِالرَّحْمِ وَالدينِ
يُغْنِي وَيَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مِسْكِينِ
حَتَّى أُغَيَّبَ بَيْنَ الرَّمْلِ وَالطينِ

وقول السيد الحميري :

أُمِرُّزْ عَلِي جَدَثِ الحسد
آعظها لا زلت من
وإذا مررت بقبيره
وابك المطهر للط
كُبكاء مُعْوَلَةٍ أَتتْ
بَيْنَ قَقْلٍ لِأَعْظَمِهِ الزَّكِيَّةِ
وطفاء ساكنة روية
فأطل به وقف الطية
هر والمطهرة النقية
يَوْمًا لِوَاحِدِهَا المِنيَّةِ

ومن جيد ما قيل في رثاء آل البيت قصيدة دعمل الخزاعي التي

يقول فيها :

مدارس^(١) آياتٍ خلعت من قِلاوة
لآلِ رسولِ اللهِ بالخَيْفِ من مِنيَّ
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرِ
ديارُ عفاها كلُّ جَوْنٍ مُبَاكِرِ
قِفَانِ سَأَلِ الدَّارَ التي خَفَّ أَهلُها
وَأينَ الألى شَطَّتْ بِهَمِّ غُرْبَةٍ النَّوى
ومنزلٌ وحيٍّ مُقْفِرُ العَرَصاتِ
وبالركنِ والتَّعْرِيفِ والجَمَرَاتِ
وحمزةً والسَّجَادِ ذِي^(٢) الثَّنَاتِ
ولم تَعْفُ لِلأَيَّامِ والسَّنَوَاتِ
مَتَى عَهْدُهَا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَوَاتِ
أَفَانِينَ فِي الآفَاقِ مُفْتَرِقَاتِ

(١) معجم الأدباء ج ١١ / ١٠٣ .

(٢) السجادة هو علي بن عبد الله بن العباس سمي بهذا لكثرة السجود . والثقات جمع

ثقة وهي ركة الإنسان . يريد أن ركبته تأثرتا من كثرة السجود .

وهي طويلة ، وسنورد بقيتها حينما نتكلم عن أشهر شعراء الشيعة .
وقد روى أن كثيرا من شعراء الشيعة وأدبائها كانوا يجتمعون
ويكون وينوحون بالقصائد التي ينظمونها في رثاء آل البيت . وما بُكِي
به قول أحد الشعراء .

بني أحمدٍ قلبي لكم يَتَقَطَّعُ بمثلِ مُصَابِي فِيكُمْ لَيْسَ يُسْمَعُ
عَجِبْتُ لَكُمْ تَقْنُونَ قِتْلًا بِسَيْفِكُمْ وَيَسْطُو عَلَيْكُمْ مَنْ لَكُمْ كَانَ يَخْضَعُ
كَانَ رَسُولَ اللَّهِ أَوْصَى بِقَتْلِكُمْ وَأَجْسَامِكُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ تُوزَعُ

(٣) الهجاء

أكثر شعراء الشيعة من هجاء أعدائهم أمويين وعباسيين ، كما هجوا
أبا بكر وعمر وعثمان هجاء مرا ، وقالوا في ذلك كثيرا . ومن أشهر من
عرّض بهؤلاء في شعره السيد الحميري ، وهو شاعر عاش في أواخر
الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية . وكان شيعيا غالبا ، وقد ذكره
صاحب الأغانى (١) بقوله : فكان يفرط في سب أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، ويستعمل شعره في قذفهم والطنن عليهم
فتحوى شعره من هذا الجنس وغيره ، وهجره الناس تخوفا وتوقيا ،

وكان مهيار الديلمي الذي عاش في القرن الرابع الهجري كثير الطعن
في هؤلاء الصحابة . ولكن شعره لم يهجره الناس كما هجروا شعر السيد

(١) الأغانى ج ٧ / ٢٣٠٠ .

الحميري ، فوصل إلينا كل ما قاله في هذا الباب . ومن أمثلة هذا الهجاء .
قول أحد شعراء الشيعة :

قد كنتُ أطمعُ أن أموتَ ولا أرى فوق المنايرِ من أمةٍ خاطيا
فإنه أآخرُ مدتي فتطاولتُ حتى رأيتُ من الزمانِ عجائبا
في كلِّ يومٍ للزمانِ خطيئهم بينَ الجميعِ لآلِ أحمدِ عابيا

وقول ميار :

حملوها يوم السقيفةِ أوزا را تحفَّ الجبالِ وهي ثقَالُ
ثم جاءوا من بعدها يستقبلو ن وهياتِ عثرةٌ لا تُقالُ
يا لها سوءةٌ إذا أحمدَ قَا م غدا بينهم فقال وقالوا
ربعُ همي عليهم طللُ با قِ وتبلى المومُ والأطلالُ

ومن قوله أيضا :

أالله يا قوم ، يقضي النبيُّ مطاعا فيعصى وما غسلا
ويوصي فنحرصُ دعوى عليه ه في تركه دينه مهملًا
ويجتمعون على زعمهم ويُنيك سعدٌ بما أشكلا
فيعقب إجماعهم أن يديه ت مفضولهم يقدم الأفضلا
وأن يُزَعِ الأمرُ من أهله لأن عليًا له أهلا
وساروا يحطون في آله بظلمهم ككلا ككلا

ومنها :

فيوم السقيفةِ يا بن النبِّ ي طرقَ يومك في كربلا

وَعَضِبُ أَيْبِكَ عَلَى حَقِّهِ وَأَمَّاكَ حَسَنًا أَنْ تُقْتَلَ

ولما أكثر شعراء الشيعة من الطعن على الخلفاء الأول قام فريق من شعراء السليين يدافعون عن أبي بكر وعمر وعثمان ويذودون عنهم، فكان من هذا وذاك شعر كثير. قال بديع الزمان الهمداني من قصيدة طويلة.

إِمَامٌ مِنْ أَجْمَعٍ فِي السَّقِيْفَةِ قَطْعًا عَلَيْهِ أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ
نَاهِيكَ مِنْ آثَارِهِ الشَّرِيفَةِ فِي رَدِّهِ كَيْدَ بَنِي حَنِيفَةَ
سَلِ الْجِبَالَ الشَّمَّ وَالْبَحَارَا وَسَائِلَ الْمَنْبَرِ وَالْمَنَارَا
وَاسْتَعْلِمِ الْآفَاقَ وَالْأَقْطَارَا مِنْ أَظْهَرَ الدِّينِ بِهَا شِعَارَا
ثُمَّ سَلِ الْفَرَسَ وَبَيْتَ النَّارِ مِنَ الَّذِي قَلَّ شَبَابُ الْكُفَارِ
هَلْ هَذِهِ الْبَيْضُ مِنَ الْآثَارِ إِلَّا لِثَانِي الْمُسْطَقَى فِي الْغَارِ
وهي طويلة فليرجع إليها القارىء. إن شاء في الجزء الثانى من معجم الأدباء طبع القاهرة^(١).

(٤) الدِّفَاعُ عَنِ حَقِّ عَلِيٍّ

كان الدفاع عن حق علي وآل بيته في الخلافة من أهم الأمور التي شغلت شعراء الشيعة، فتناولوا هذا الموضوع وقالوا فيه كثيرا. دافعوا عن هذا الحق دفاعا مذكورا، ولم يتركوا حجة ولا دليلا يثبت حقه فيها إلا أتوا به مفصلا مشروحا، ولم يدعوا برهاننا ولا بينة تؤيد رأيهم،

وتدعم مذهبهم إلا ذكروها ونوها بها . ويعتبر الكميت أول شاعر
شيعي لجأ في الدفاع عن حق علي إلى الدليل والبرهان ، وقد قال عنه
الجاحظ « إنه من أول من دل الشيعة على طرق الاحتجاج ، ومن قوله :
وقالوا وريثناها أبانا وأمنا وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
يروئن لهم حقا على الناس واجبا سفاها وحق الهاشميين أوجب
ولكن مواريث ابن آمنة الذي به دان شرقي لكم ومغرب

ومنها :

يقولون لم يورث، ولولا ثرائه لقد شركت فيه بكيلى وأزحَبُ
وعكٌ ولحم والسكونٌ وحميرٌ وكندةٌ والحَيانِ بكرٌ وتغلبُ
ولا نتشلت^(١) عضوين منها يحابرُ وكان لعبد القيس عضو^(٢) مؤربُ
ولا تنقلت من خندفٍ في سواهمُ ولا اقتدجت قيسُ بها ثم ألقبوا
ولا كانت الأنصارُ فيها أدلةٌ ولا غيبا عنها إذا الناس غيبُ
هم شهدوا بدرا وخيرَ بعدها ويومَ حنينٍ والدماء تصبُّ
وهم رأموها^(٣) غير ظير^(٤) وأشبلوا عليها بأطراف القنا وتحدَّوا
فإن هي لم تصلح لقومٍ سواهمُ فإن ذوى القرْبى أحقُّ وأقربُ
فيالكَ أمرا قد اشئت وجوهه ودارا ترى أسبابها تتقضبُ
تبدلت الأشرارُ بعد خيارها وجدَّ بها من أمهٍ وهي تلعبُ
فأنت ترى أن الكميت قد ألف حجة قوية فهو يقول : لو لم يورث

(٢) عضو مؤرب نصيب تام .
(٤) الطائر التي تطف على غير ولدها .

(١) أخذت نصيبين .
(٣) قبلوا دعوة الرسول .

التي لكنت الخلافة شائعة في قبائل العرب ، ولما كان هناك معنى للقول .
بأن الخلافة في قريش . فإن قلتم بأن الخلافة في قريش ودفعت الأَنْصار
عنها بهذه الحججة ، فلا معنى لتقديم قريش إلا لقرابتها من الرسول ،
وإذا كانت قرابتها هذه هي الحججة التي تستند إليها فالأقرب أولى . فبنو
هاشم أولى من بني أمية ، وبنو عليّ أولى من بني هاشم . وهذه الحججة
التي أتى بها الكميّ ليست جديدة ، ولا هي من اختراعه ، بل مر بنا
ذكرها حينما رأينا عليا يجادل أبا بكر وعمر ، ويقول لهما : أنا أحتج
عليكما بمثل ما احتجتم على الأَنْصار . ولكن الكميّ أول من صاغ
هذه الحجج في الشعر وأتى بها في القصيد .

* * *

وقد ترتب على مثل هذا الشعر ظهور نوع من النقائض بين شعراء
العلويين والعباسيين ، ترى فيها الحججة تدفع الحججة ، والبرهان يبطل
البرهان . واجتهد كل فريق في الاستناد إلى القرآن والحديث والسنة
والإجماع لتأييد وجهة نظره . ومثال ذلك قول أحد شعراء العباسيين
مخاطبا الرشيد :

يا ابن الأئمة من بعد النبي ويا بن الأوصياء أقر الناس أو دفعوا
لولا عدي^(١) وتيم^(٢) لم تكن وصلت إلى أمية تمريها وترتضع
وما لال عليّ في إمارتكم وما لهم أبدا في إرثكم طمع

(١) قبيلة منها عمر بن الخطاب .

(٢) قبيلة منها أبو بكر الصديق .

يا أيها الناسُ لا تعزُبْ حلومكمُ ولا تُضِفكم إلى أكنافها البِدَعُ
العَمُّ أَوْلَى من ابن العم فاسْتَمِعُوا قولَ النَّصِيحَةِ إنَّ الحقَّ مُسْتَمَعٌ
وقول شاعر آخر :

ألا لله دَرُّ بنى عليٍّ ودَرُّ من مَقَّالتهم كثيرُ
يسمون النبيَّ أبا ويأبى من الأحزابِ سطرٌ بل سطورُ

يشير الشاعر هنا إلى آية الأحزاب « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله » . وكان من أكبر دعاة العباسيين في الشعر مروان بن أبي حفصة . لقد مدح المهدي والرشيدي ، ونال جوائزهما العظيمة ، وله قصيدة مشهورة مدح بها المهدي عندما عقد البيعة لابنه الهادي :

يا ابن الذي ورثَ النبيَّ محمداً دونَ الأقارب من بنى الأعمام-
الوحيُّ بين بنى البناتِ وبينكم قطع الخِصامَ فلات حينَ خصام-
ما للنساءِ مع الرجالِ فريضةٌ نزلتُ بذلكَ سورةُ الأنعام-
خلُّوا الطريقَ لمعتسِرٍ^(١) عاداتهم حطُّ المناكبِ كلَّ يومٍ زحام-
إرضوا بما قسم الإلهُ لكم بهِ ودَعُوا وراثَةَ كُلِّ أُصَيْدٍ حام-
أَنِّي يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ لبنى البناتِ وراثَةَ الأعمامِ
ألغى سهامهم الكتابُ فحاولوا أن يشرعوا فيها بغير^(٢) سهامِ

(١) برید بالمعشر العباسيين . وحطم المناكب يوم الرحام كناية عن عليهم خصومهم يوم التماس في المجد .

(٢) أي أن ينالوها دون أن يكون لهم نصيب مفروض فيها .

ظَفِرَتْ بِنُو سَاقِي الْحَجِيجِ بِحَقِّهِمْ وَغُرِّمَتْ بِتَوَهُّمِهِمْ^(١) الْأَحْلَامُ
عَقِدَتْ لِمُوسَى بِالرَّصَاقَةِ بَيْعَةَ شَدَّ الْإِلَهُ بِهَا عُورَى^(٢) الْإِسْلَامِ
مُوسَى الَّذِي عَرَفْتُ قَرِيضُ فَضْلُهُ وَلَهَا فَضِيلَتُهَا عَلَى الْأَقْوَامِ
قِيلَ إِنْ أَشَدَّ بَيْتَ كَانَ عَلَى الشَّيْعَةِ قَوْلُهُ :

أَنْ يَكُونَ — وَلَيْسَ ذَلِكَ بِكَائِنٍ — لِبْنِي الْبِنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ^(٣)
وَقَدْ غَاضِبُهُمْ هَذَا الْبَيْتَ حَتَّى لَعَنُوهُ مِنْ أَجْلِهِ ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِمْ :
لَمْ لَا يَكُونَ وَإِنَّ ذَلِكَ لَكَائِنٌ لِبْنِي الْبِنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ
لَلْبَيْتِ نِصْفٌ كَامِلٌ مِنْ مَالِهِ وَالْعَمُّ مَتْرُوكٌ بِغَيْرِ سَهَامِ
مَا لِلطَّلِيقِ وَلِلتَّرَاثِ وَإِنَّمَا صَلَّى الطَّلِيقُ مَخَافَةَ^(٤) الصَّنْصَامِ
. قَالَ أَبُو الْفَرَجِ ، قَالَ صَالِحُ بْنُ عَطِيَّةِ الْأَضْجَمِ وَهُوَ شَيْعِي ، لَمَّا قَالَ
مِرْوَانَ :

أَنْ يَكُونَ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِكَائِنٍ لِبْنِي الْبِنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ
لَزِمْتَهُ وَعَاهَدْتِ اللَّهُ أَنْ أَغْتَالَهُ فَأَقْتَلَهُ أَيْ وَقْتُتُ أَمَكْنِي ذَلِكَ ،
وَمَا زِلْتُ الْأَطْفَهَ وَأَبْرَهُ ، وَأَكْتُبُ أَشْعَارَهُ حَتَّى خَصَصْتُ بِهِ فَأَنْسَ بِي
جِدًا ، وَعَرَفْتُ ذَلِكَ بِنُوحْفَصَةَ جَمِيعًا فَأَنْسُوا بِي ، وَلَمْ أَزَلْ أُطَلِّبُ غِرَّةً
حَتَّى مَرَضَ مِنْ حَمِي أَصَابْتَهُ ، فَلَمْ أَزَلْ أَظْهَرُ لَهُ الْجَزْعَ عَلَيْهِ حَتَّى خَلَا لِي
الْبَيْتَ يَوْمًا فَوُثِّبْتُ عَلَيْهِ فَأَخَذْتُ بِحَلْقِهِ فَمَا فَارَقْتَهُ حَتَّى مَاتَ . ،

-
- (١) سَاقِي الْحَجِيجِ هُوَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ كَانَ يَسْتَقِي الْحَتَّاجَ بِمَكَّةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .
(٢) مُوسَى الْمَهَادِي ابْنُ الْحَلِيفَةِ الْمَهْدِيِّ .
(٣) وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ : يَرِيدُ وَرَاثَةَ كُورَاثَةِ الْأَعْمَامِ .
(٤) الطَّلِيقُ هُوَ الْعَبَّاسُ أُسْرَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ اعْتَدَى نَفْسَهُ .

ولقد كان مروان من أحب الشعراء إلى الرشيد لأنه كان يصل مدح الرشيد بالتعريض بالشيعة والظعن فيهم . وقد اضطر الشعراء الآخرون إلى مجارة مروان في طريقته حتى يظفروا بمثل ما كان يظفر به من العطايا والهبات .

(٥) ذكر مناقب آل البيت

أكثر شعراء الشيعة من التغنى بمناقب علي وآل بيته في شعرهم . فكانوا كلما سمعوا منقبة قالوا فيها شعرا ولو كانت هذه المنقبة مما لا يقبله العقل . وتعتبر قصائدهم التي نظموها في هذا الموضوع من الشعر القصصي ؛ لأنك تجد الشاعر يسرد لك عجيبة من عجائب علي ، أو عادة من خوارق عاداته ، أو أمرا غريبا وقع له من شأنه أن يرفع من مقام علي أمام الناس ويجعله سيد الأوصياء بغير شك ولا ريب . وقد كان السيد الحميري من أكثر شعراء الشيعة ذكرا لمناقب علي . قال صاحب الأغاني^(١) « كان السيد الحميري يأتي الأعمش — وهو عالم كوفي ثقة في الأخبار — فيكتب عنه فضائل علي رضي الله عنه ، ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعرا » .

ثم قال « نخرج^(٢) ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة ، وقد حمله علي فرس ، وخلع عليه ، فوقف بالكناسة — محلة بالكوفة — ثم قال : يا معشر الكوفيين ، من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعرا أعطيته فرسي هذا وما علي . فجعلوا يحدثونه وهو ينشدهم » .

(١) و (٢) الأغاني ج ٧ .

من ذلك أنه سمع رجلا يروى عن النبي أنه قال لعلي بن أبي طالب :
إنه سيولد لك بعدى ولد ، وقد نخلته اسمى وكنيتى فقال فى ذلك قصيدة
طويلة تذكر منها .

ألم يبلغك والانباء تسمى مقال محمد فيما يؤدى
إلى ذى عليه الهادى على وخولة خادم فى البيت تردى
ألم تر أن خولة سوف تأتى بوارى الزند صافى الخيم تجدى
يفوز بكنيتى واسمى لائى نخلتهما والمهدى بعدى
يغيب عنهم حتى يقولوا تضمنه بطيبة بطن الحد

ومن ذلك أيضا أنه سمع محدثا يقول إن النبي كان ساجدا فركب
الحسن والحسين على ظهره ، فقال عمر رضى الله عنه : نعم مطيكا ا فقال
النبي « ونعم الراكبان هما ، فقال السيد فى ذلك :

أبى حسينا والحسين النبي وقد جلسا حجرة^(١) يلعبان
فقداهما ثم حياهما وكاتا لديه بذاك المكان
فراحا وتحتهما عاتقاه فنعيم المطية والراكبان
وليبدان امهما برة حصان مطهرة للحصان

(٦) النقائص

وهي القصائد التي تبادلها شعراء الفريقين من الشيعة وخصومهم وكانت مملوءة بالشتائم والسياب، مفعمة بالألفاظ النابية التي تنفر منها الأسماع. وهي وإن كانت تدخل ضمن الهجاء، إلا أني آثرت أن أفرد لها مكانا خاصا. لأن الهجاء عند الشيعة تناول الأموات أكثر من الأحياء؛ تناول أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة بالسب واللعن والتكفير، ورميهم بالغدر والخيانة واغتصاب حق علي في الخلافة. أما هذه النقائص فكانت هجاء متبادلا بين شاعر وشاعر يطعن أحدهما في أخلاق الآخر وعرضه وشرفه وحسبه ونسبه، ويتهمه بالفسق والفجور فيرد عليه الآخر ردا فيه فحش وفيه إقذاع. ومن أمثلة ذلك قول كثير وكان يدين بالرجعة

وسطٌ لا يذوق الموتَ حتى يقودَ الخيلَ يقدّمها اللواءَ

تغيّبَ لا يرى فيهم زمانا يرَضوى عنده عَسَلٌ وماءٌ

فأتى علي بن الجهم وقال^(١):

ورافضةٌ تقولُ بِشِعْبِ رَضوى إمامٌ ، تحابَ ذلك من إمام

إمامٌ من له عشرون ألفا من الأتراكِ مُشرعة السّهام

فرد عليه البحترى بقوله:

إذا ما حُصِّلتُ عُليا مُقرِشٌ فلا في العيرِ أنتَ ولا النفيرِ

وما رُغِثَاؤُكَ الجهم بن بدر من الأتراكِ ثمّ ولا البدورِ

(١) الأغانى ج ١٠/٢٠٧

ولو أعطاك ربك ما تمنى لزاد الخلق في عظم الأيور
علام هجوت مجتهدا عليا بما لفتت من كذب وزور
أمالك في استك الوجعاء شغل يكفك عن أذى أهل القبور

كذلك امتازت النقائض بأن الشاعر كان يقول القصيدة ، فسرعان
ما ينبرى شاعر آخر للرد عليه . ومثال ذلك قول أحد شعراء طلحة :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل تنازل الموت إذا الموت نزل
ننعي ابن عفان بأطراف الأسل ردوا علينا شيخنا ثم يجمل
الموت أحلى عندنا من العسل لا عار في الموت إذا حان الأجل
إن عليا هو من شرّ البدل إن تعدلوا بشيخنا لا يعتدل
فأجابه رجل من أنصار علي :

نحن قتلنا نعتلاً فيمن قتل أكثر من أكثر فيه أو أقل
أني يرث نعتل وقد قحل نحن ضربنا وسطه حتى انجزل
لحكمه حكم الطواغيت الأول آثر بالقيء وجافى في العمل
فأبدل الله به خيراً بدل إني امرؤ مستقدم غير وكل

ومن هذا النوع أيضا قول الوليد بن عقبة يخاطب أنصار علي
متهما إياهم بالاستيلاء على أسلحة عثمان بن عفان وهو :
بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوه لا تحبل مناهبه

بنى هاشمٍ كيف الهوادة بيننا وعند علي درعه ونجائبه
قتلتم أخى كيما تكونوا مكانه كما غدوت يوما بكسرى مرزبه
قال ابن أبي الحديد (١) « فأجابه عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن
عبد المطلب بأبيات طويلة من جملتها :

فلا تسألوا ما سيفكم إن سيفكم أضيع وألقاهُ لدى الرّوع صاحبه
شبهتهُ كسرى وقد كان مثله شديها بكسرى هدره وضرابه (٢)
أى كان كافرا كما كان كسرى كافرا ،

ومنها :

وكان وليّ العهد بعد محمدٍ عليّ وفي كلّ المواطن صاحبه
عليّ وليّ الله أظهر دينه وأنت مع الأشقين فيمن تحاربه
وقد أنزلَ الرحمنُ أنك فاسقٌ فما لك في الإسلام سهمٌ تطالبه

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١/٩٠ .

(٢) أستبعد صدور هذا من ابن أبي سفيان — المؤلف .

الباب الرابع

شعراء الشيعة

بلغ شعراء الشيعة من الكثرة مبلغا عظيما حتى أصبح إحصاؤهم فضلا عن التكلم عنهم من الأمور العسيرة . ولا أستطيع هنا أن أتناول بالدرس كل من عرف بتشيعة من الشعراء ، لأن هذا الكتاب أضيقت كثير من أن يتسع لهذا . إلا أنني أرى لزاما على تنمة للبحث أن أتحدث عن بعض شعراء الشيعة متوخيا في ذلك الإيجاز . وسأبدأ بذكر الشعراء الذين عاشوا في أيام الدولة الأموية ثم أتبعهم ببعض من عاشوا في أيام الدولة العباسية . ثم آتى بعد ذلك بذكر شاعر واحد من شعراء الدولة الفاطمية وهو ابن هانيء الأندلسي .

(١) الكميت

هو الكميت^(١) بن زيد الأسدي ينتهي نسبه إلى مضر بن نزار بن عدنان . قال أبو الفرج^(٢) و شاعر مقدم ، عالم بلغات العرب ، خبير

(١) ذكر الأمدى في المؤلف والمخلف أن من يقال لهم الكميت من الشعراء ثلاثة من بني أسد بن خزيمة (أولهم) الكميت الأكبر بن ثعلبة بن يوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقس (والثاني) الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر (والثالث) الكميت ابن ربد الأسدي . والكميت بصغير أكت على غير قياس . والإسم الكمه وهو من الحيل بين الأسود والأحمر .

(٢) الأغانى طبع دار الكتب ج ١٥ ص ١٠٩ .

بأيامها ، من شعراء مضر وألسنتها ، والمتعصبين على القحطانية ، المقارنين المقارعين لشعرائهم العلماء بالمثالب والأيام المفاخرين بها . وكان في أيام بني أمية ، ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها . وكان معروفا بالتشيع لبني هاشم ، مشهورا بذلك . وقصائد الهاشميات من جيد شعره ومختاره .
مولده : ولد في عام ستين هجرية أيام قتل الحسين . ومات سنة مائة وست وعشرين هجرية في خلافة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين .

أخلاقه وصفاته : كان الكميته شديد الذكاء ، قوى الحافظة ، سريع الجواب ، حاضر البديهة ، فصيحاً مفوها ، ملأ بأيام العرب ومناقبها ومفاخرها ، عليماً بأنسابها . كما كان كريماً ديناً ، وفارساً شجاعاً .

تشيعة : كان الكميته شديد الحب لآل علي ، عظيم الولاء والإخلاص لهم . آزرهم وناضل عنهم في وقت الشدة ، غير مكترث بسطوة الأمويين وبأسهم . وقد تعرض في سبيل ذلك للهلاك ، وتحمل اضطهاداً كبيراً وعناء شديداً . قال الجاحظ « ما فتح للشعبة الحجاج إلا الكميته بقوله :
فإن هي لم تصلح لحى سواهم فإن ذوى القرى أحق وأوجب
يقولون لم تورث ولولا تراثه لقد شركت فيه بكيل وأرحب^(١)
وإنك لتجد في شعر الكميته ما يدل على تعلقه الشديد بآل علي .

ومثال ذلك قوله :

بأى كتاب أم بأية سنة ترى حُبهم عارا على وتحسب
فإلى إلا آل أحد شيعة ومالى إلا مشعب الحق مشعب

(١) قيلتان من العرب .

ومن غيرهم أَرْضَى لِنَفْسِي شِيعَةً ومن بعدهم لا من أجل وأرجب
إليكم ذوى آلِ النبي تطلعت نوازحُ من قلبى ظلماء وألبُ
فطائفة^(١) قد كفرتني بجمكم وطائفة^(٢) قالوا مسيء ومدنبُ
فما ساءنى تكفيرُ هاتيكَ منهم ولا عيب هاتيك التي هي أعيبُ
يعيونني من خبيهم^(٣) وضلالهم على حبكم بل يسخرون وأعجبُ
وقالوا ترابي^(٤) هوواه ورأيه بذلك أدعى فيهم وألقبُ
ومنها:

ألم تراني في حب آل محمد أروح وأغدو خائفا أترقبُ
كأني جان مُحدث وكأنا بهم أتقى من خشية العار أجربُ
على أى جرم أم بأية سيرة أعنفُ في تقریظهم وأونبُ

غضب هشام عليه : ولما هجا الكميث خالد بن عبد الله القسرى
عامل هشام على العراقيين ، أراد خالد أن ينتقم فروى جارية حسناء .
قصائده التي قالها في بني هاشم وأعدّها لهداياها إلى هشام ، وكتب إليه
بأخبار الكميث وبهجائه بني أمية ، وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها .
فيارب هل إلابك النصرُ يبتغى ويارب هل إلا عليك المعول
وهي طويلة يرثي فيها زيد بن علي وابنه الحسين بن زيد ويمدح بني

(١) طائفة الحوارج كانت تكفر كل من يحب عليا . (٢) طائفة الأمويين الذين
كانوا يهتمون بالمسق والعصيان . (٣) الحب : الحب والحداء .
(٤) نسبة إلى أبي تراب وهو لقب علي بن أبي طالب .

هاشم ، قال أبو الفرج « فلما قرأها — يعنى هشاما — أكبرها وعظمت عليه واستنكرها ، وكتب إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده فلم يشعر الكميت إلا والخنيل محدقة بداره فأخذ وحبس في الحبس ، إلا أن الكميت استطاع أن يهرب من السجن وأقام مدة متواريا « حتى ^(١) إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه خرج ليلا في جماعة من بني أسد على خوف ووجل وفيمن معه صاعد غلامه . قال وأخذ الطريق حتى وصل إلى الشام فتولرى في بني أسد وبني تميم ، ثم اختلفت الروايات بعد ذلك في كيفية وصوله إلى هشام . وانتهى أمره بأن نال عفو الخليفة ورضاه ومدحه بقصيدة قيل إنه ارتجلها ومنها .

مَاذَا عَلَيْكَ مِنَ الْوَقْوِ فِيهَا وَإِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرٍ
دَرَجَتْ عَلَيْكَ الْعَادِيَا تِ الرَّائِحَاتُ مِنَ الْأَعَاصِرِ
فَالآنَ صَرْتُ إِلَى أَمِيَّةَ وَالْأُمُورُ إِلَى مَصَايِرِ

الهاشميات : وقد جمع شعره الذي قاله في مدح بني هاشم وأطلق عليه « الهاشميات » لأنه احتج فيها لبني هاشم على خصومه وعدد آياتها خمسمائة وستة وثلاثون بيتا . وقد طبعت في أوروبا ثم في مصر واهتم غير واحد بشرحها ونشرها . ومن قوله في مدح الهاشميين .

وَهُمُ الْآخِذُونَ مِنْ ثِقَةِ الْأَمْرِ بِتَقْوَاهُمْ عُرَى لَا انْقِصَامِ
وَالْمُصِيبُونَ وَالْمُجِيبُونَ لِلدَّعْوَى وَالْمُحَرِّزُونَ خَصْلَ التَّرَايِمِ

وَمُحَلِّونَ مُخْرَمُونَ مُقَرَّبُونَ لِحِلِّ قَرَارَةٍ وَحَرَامِ
سَاسَةٍ لَا كَنَ يَرَى رِعْيَةَ النَّاسِ سِوَاءِ وَرِعْيَةِ الْأَنْعَامِ
لَا كَعَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ كَوَلِيدِ أَوْ سَلِيمَانَ بَعْدَ أَوْ كَهَشَامِ
رَأْيُهُ فِيهِمْ كَرَأْيِ ذَوِي الثَّلَاثَةِ فِي الثَّائِبَاتِ جُتَحَ الظَّلَامِ
يَقُولُ إِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَنْظُرُونَ إِلَى النَّاسِ بَعَيْنِ الْعَطْفِ وَالرِّعَايَةِ ،
وَيَعْمَلُونَ مَا فِيهِ خَيْرَ الرِّعْيَةِ ، لَا يَدْعُونَهُمْ هَمَلًا كَأَلْأَنْعَامِ كَمَا يَفْعَلُ الْأَمْوِيُّونَ
الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى النَّاسِ نَظْرَ صَاحِبِ الْقَطْعِ الْكَثِيرَةِ إِلَى غَنَمِهِ وَالثَّائِبَاتِ :
الضَّانُّ . وَالثَّلَاثَةُ : الْكَثِيرُ مِنَ الضَّانِّ .

ثم قال :

فَهُمُ الْأَقْرَبُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَهُمْ الْأَبْعَدُونَ مِنْ كُلِّ ذَائِمٍ
وَهُمُ الْأَرَأْفُونَ بِالنَّاسِ فِي الرَّأْفَةِ وَالْأَحْلَىونَ فِي الْأَحْلَامِ
بَسَطُوا أَيْدِيَ النَّوَالِ وَكَفُّوا أَيْدِيَ الْبَغْيِ عَنْهُمْ وَالْعَرَامِ
أَخَذُوا الْقَصْدَ فَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ حِينَ مَالَتْ زَوَامِلُ الْإِيَّامِ

يَمْدَحُ الْهَاشِمِيِّينَ بِقَوْلِهِ إِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ كُلَّ خَيْرٍ ، وَيَتَجَنَّبُونَ كُلَّ شَرٍّ
وَيَبْتَعِدُونَ عَمَّا يَعَابُ عَلَيْهِ النَّاسُ . وَهُمْ الَّذِينَ يَرَأْفُونَ بِالرِّعْيَةِ وَيَسْعَوْنَ بِهَا
بِحِلْمِهِمْ وَيَشْمَلُونَهَا بِعَطْفِهِمْ ، وَيَسْبَغُونَ عَلَيْهَا يَدَ الْجُودِ ، وَلَا يَفْكُرُونَ فِي
الْعَدْوَانِ عَلَى أَحَدٍ ، أَوْ الْبَغْيِ عَلَيْهِ (وَالْعَرَامُ هُوَ الْجَهْلُ) . وَقَدْ اعْتَدَلَ
الْهَاشِمِيُّونَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَلِزَمُوا جَانِبَ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ حِينَ رَكِبَ غَيْرَهُمْ
مَتْنِ الشُّطْطِ وَالْبَغْيِ وَالْجُورِ وَالْعُسْفِ ؛ (وَالزَّوَامِلُ الْإِبِلُ الَّتِي تَحْمِلُ عَلَيْهَا
الْحَمُولَةَ ، فَيَكُونُ الشَّاعِرُ قَدْ شَبِهَ الْآثَامَ بِالزَّوَامِلِ) .

ومنها:

خيرٌ حَيٍّ وميِّتٍ من بنى آ دمٌ طُرّاً ما مويهم والإمام
كان ميتاً جنازةٌ خيرٍ ميِّتٍ غيَّبته مَقَابِرُ الأَقْوَامِ
وجنيناً ومُرَضِعاً ساكن المم د وبعد الرَّضَاعِ عند الفِطَامِ
خيرٌ مُسْتَرْضِعٍ وخيرٌ فَطِيمٍ وجنينٌ أُقِرَّ في الأرحامِ
وغلاماً وناشئاً ثم كهلاً خَيْرٌ كَهْلٍ وناشئٌ وغلامٍ
أنقذ الله شِلُوناً من شفا الذر بار به نعمةً من المنعمِ
طيبُ الأصلُ طيبُ العُودِ في البذية والفرع يثرني تَهَامِي

يقول إن بنى هاشم خير حى وخير مييت سواء في ذلك الإمام
والمأموم ثم ذكر أن رسول الله كان خير مييت وأكمل إنسان من يوم
أن كان جنينا إلى أن انتقل إلى جوار ربه. والشاعر يرجو أن ينجيه الله
من عذاب النار بشفاعته رسوله. والمنعم هو الله الذى نعم على عبده
بالخير والبركات. « والشلو الجلد » ، « والشفا حرف كل شيء » ، ثم قال
إن الرسول كان طيب الأصل وطيب البنية والتكوين ، طيب الخلق
والخلق .

أما بعد فقد رأيت كيف كان الكمييت يمدح العلويين وينتصر لهم
في وقت أوجب الأمويون فيه سب على ولعنه ، وتبعوا كل من عرف
بهواه لآل على بالسجن والقتل والتعذيب والاضطهاد والحرمان .
كل شيء ، فكان الناس لا يجرءون على ذكر على . ولكن بالرغم من

هذا كان الكميت الشاعر الوحيد في عصره الذي استطاع أن يرفع صوته بمدح الهاشميين والدفاع عن حقهم ، والظعن الشديد على الأمويين في غير خوف ولا وجل . ولم يقلع عن هذا إلا فترة قصيرة حين شعر بالخطر فاضطر إلى مدح الأمويين . روى أنه لما حضرته الوفاة فتح عينيه وقال : اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد .

(٢) كثير

هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود . قال أبو الفرج ^(١) « هو من قول شعراء الإسلام ، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم ، وقرن به جريرا والفرزدق والأخطل والراعي . وكان غالبا في التشيع يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجعة والتناسخ ، وكان مُحَمِّقا مشهوراً بذلك » . وقال ابن سلام ^(٢) في كتابه طبقات الشعراء « سمعت يونس النحوي يقول كان ابن أبي اسحاق يقول : كان كثير أشعر أهل الإسلام .

أخلاقه وصفاته : كان كثير ساذجا سريع التصديق لكل ما يقال له . وكان كثير التيه بنفسه ، عظيم الخيلاء ، كما كان مفرطاً في القصر دميم الخلق . قال ابن سلام الجحى « قال يونس النحوي : كثير أشعر أهل الإسلام كان قصيرا مفرط القصر . روى عن الواقص أنه قال : رأيت

(٢) طبقات الشعراء ص ٢٠٢ .

(١) الأغاني ج ٩ ص ٤ .

كثيراً يطوف بالبيت ، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبه ،
وقد هجاه الشاعر المعروف بالحزین الكِنَانِي بقوله :
قصير القميص فاحشٌ عند بيته يَعَضُّ القِرَادُ بِأَسْتِهِ وهو قائمٌ
شاعريته : كان كثير غزير الشعر قويه . ذكر ابن رشيقي في كتاب
العمدة « أن مروان بن أبي حفصه كان يقدم كثيراً في المدح على جرير
والفرزدق . » وقال أبو الفتوح « أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني
الزبير بن بكار قال كتب إلى إسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني ابراهيم بن
سعد قال : إني لأروى لكثير ثلاثين قصيدة لو رُقيَ بها مجنون لأفاق ،
وروى أبو الفرج أيضا أن ابن أبي عبيدة كان يملئ شعر كثير بثلاثين دينارا .
تشيعة : كان كثير شديد الحب لآل علي ، قضى حياته كلها وهو
معمور القلب بالإخلاص والولاء لهم . روى أنه كان بمكة فأمر بلعن علي
فرقى المنبر وأخذ بأستار الكعبة وقال :

ببياض الدِّمَاطِ^(١) من بطن ريم فبخفض الشُّجُونِ من^(٢) الجمام
أَيْسَبُ المَطْهَرُونَ أَصُولاً وَالكَرَامُ الحُتُولُ والأَعْمَامُ
يَأْمَنُ الطَيْرُ والحَمَامُ وَلَا يَأْمَنُ آلُ الرِّسُولِ عِنْدَ المَقَامِ
رَحْمَةُ اللهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كَلَّمَا قَامَ قَائِمَ الأَسْلَامِ
قال أبو الفرج « فلما سمع الناس قوله هذا أنزلوه من المنبر وأتخنوه
ضربا بالنعال وغيرها فقال :

إِنْ أَمْرًا كَانَتْ مَسَاوِيُهُ حُبُّ النِّسْبِي لَغَيْرِ ذِي عَثْبِ

(١) الدمات جمع دمت وهو المكان اللين ذو الرمل . (٢) الجمام موضع في المدينة .

وَبْنِي أَبِي حَسَنِ وَوَالِدُهُمْ مِنْ طَابٍ فِي الْأَرْحَامِ وَالصُّلْبِ
أَتْرُونَ ذَنْبًا أَنْ نَسَبَهُمْ بَلْ حُبُّهُمْ كَفَّارَةُ الذَّنْبِ

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد « ومن الروافض كثير عزة الشاعر
ولما حضرته الوفاة دعا ابنة أخ له فقال: يا بنة أخي ، إن عمك كان يحب
هذا الرجل ، فأحبيه ، يعني علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، فقالت :
نصيحتك يا عم مردودة عليك ، أحبه والله خلاف الحب الذي أحببته
أنت ، فقال لها : برئت منك . وأنشد يقول :

برئت إلى الأله من ابن أروى^(١) ومن قول الخوارج أجمعينا
ومن عُمرٍ برئتُ ومن عتيق^(٢) غداة دُعِيَ^(٣) أمير المؤمنين

وقد بلغ من حبه لآل علي أنه كان يهب لأطفالهم ما يحصل عليه من
جوائز وصلات ومنح وهبات . قال أبو الفرج « كان كثير شيعيا ، وكان
يأتي ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه ، فيهب لهم الدراهم ويقول :
وأبائي الأنبياء الصغار ! فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان
وهو أخوهم لأمهم يا عم : هب لي ، فيقول لا ، لست من الشجرة ،

علاقته بمحمد بن الحنفية : كان عبد الله بن الزبير شديد الوطأة على
العلويين^(٤) يتبعهم بكل مكروه ، ويغري بهم على المنابر ويصرح ويعرض
بذكرهم ، فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم ، ثم بدا له فحبس ابن الحنفية
في سجن عارم ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم فجعلهم في محبس

(١) ابن أروى : عثمان بن عفان .

(٢) عتيق : أبو بكر .

(٣) دعى لفة في دعى .

(٤) الأغاني ج ١٤/٩ .

وملأه حطباً وأضرم فيه النار . وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدلي وسائر شيعة محمد بن الحنفية قد وافوا لنصرته ومحاربة ابن الزبير . فكان ذلك سبب إيقاعه به . وبلغ أبا عبد الله الخبر فوافى ساعة أضرمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم وأخرج ابن الحنفية عن جوار ابن الزبير يومئذ فقال كثير في ذلك :

لك الويل من عيني خبيث وثابت
تُخْبِرُ مَنْ لَأَقَيْتَ أَنْكَ عَائِدٌ
فمن ير هذا الشيخ بالخيف من مبي
تسبي النبي المصطفى وابن عمه
أبي فهو لا يشري هدى بضلالة
وتحنن بحمد الله تتلو كتابه
بجيث الحمام آمن الروع ساكن
فما فرح الدنيا بباقي لأهله
وحمة أشباه الهداء^(١) التوائيم
بل العائد المظلوم في سجن^(٢) عارم
من الناس يعلم أنه غير ظالم
وفكأك أغلال ونفاع غارم
ولا يتق في الله لومة لائم
حلولاً بهذا الخيف خيف المحارم
وحيث العدو كالصديق المسالم
ولا شدة البلوى بضربة لازم
ومن قوله يمدح محمد بن الحنفية وقد تلطف به ودعاه إليه وسأله
عن أبنائه :

أقر الله عيني إذ دعاني أمين الله يُلطِفُ في السُّؤالِ
وأثني في هواي على خيرا ويسأل عن بني وكيف حالي

(١) خبيث وثابت وحمة أولاد عبد الله بن الزبير : والهداء جمع حداة وهي الطائر -
والتوائيم جمع توائم . (٢) قوله عائذ لفق عبد الله بن الزبير لأنه عاذ نالبيت . والمظلوم
هو ابن الحنفية وسجن عارم سجن مكة .

وكيف ذكرت حال أبي خبيّب وزِلَّةَ فعلِهِ عندَ السُّؤالِ (١)
هو المهديُّ خَبْرناه كعب أخوالأخبار في الحقب الخوالي
والبيت الأخير يظهر لنا كيف كان الشيعة يستحلون لأنفسهم الكذب
في سبيل تأييد مذهبهم . فأنت ترى كثيراً قد ادعى في هذا البيت أن
كعبا خبره بأن ابن الحنفية هو المهدي المنتظر . فلما قيل له ألقيت كعبا؟
قال : لا ، قيل له : فلم قلت «خبرناه كعب» ؟ قال بالتوهم (٢)

اعتقاده في ابن الحنفية : كان كثير يقدر ابن الحنفية ويحمله ويرى
أنه هو المهدي المنتظر . ومع أن ابن الحنفية مات سنة ٨١ هـ بالمدينة ووصلي
عليه أبان بن عثمان بن عفان ودفن بالبقيع ، إلا أن كثيراً رفض كما
رفض غيره ممن يذهب مذهب الكيسانية أن يصدق ذلك ، وظل معتقداً
بأنه حي لم يموت ، يقيم بجبل رَضْوَى وعنده غسل وماء وأن الملائكة
تسعى إليه وتراجع الكلام . وهو بين أسد ونمر يَحْفَظَانِهِ قال :

ألا إنَّ الأئمَّةَ من قریشٍ ولاةَ الحقِّ أربعةٌ سواءِ
عليٌّ والثلاثةُ من بنيهِ همُ الأسباطُ ليس بهم خفاءُ
فَسبُّ سبِّ إيمانٍ وبرٍ وسبُّ غَيْبَتِهِ كربلاءِ
تَغَيَّبَ لا يُرى عنهم زماناً بِرَضْوَى عنده عَسَلٌ وماءُ

علاقته بأبي هاشم عبد الله : وكان كثير على درجة كبيرة من الغفلة
وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي يعلم ذلك جيداً فكان يضع الأرصاد
على كثير . فلا يزال يوتى بالخبر من عنده ، فيقول إذا لقيه : كنت في

(١) أبو خبيّب هو عبد الله بن الزبير .
(٢) الأغاني - ٩ / ١٦٠

كذا وكنت في كذا ، إلى أن جرى بين كثير وبين رجل كلام فأثني به أبو هاشم فأقبل به على أدراجه ، فقال له أبو هاشم : كنت الساعة مع فلان فقلت له كذا وكذا ، وقال لك كذا وكذا ، فقال له كثير : أشهد أنك رسول الله .

مدحه لآل مروان : وكان كثير مع حبه الشديد لآل علي يمدح آل مروان ليظفر منهم بالعطايا والمنح . ولا شك في أنه لم يكن صادقا في مدحهم ، وكان بنو أمية يعلون منه ذلك ويحتملونه منه لأنه كان يمدحهم فيحسن مدحهم . قال أبو الفرج ^(١) « وكان آل مروان يعلون بمذهبه فلا يُغيرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف عمله في أنفسهم وعندهم . » وقد قال له ابن الحنفية « تزعم أنك من شيعتنا وتمدح آل مروان » قال : « إنما أسخر منهم وأجعلهم حيات وعقارب ، وأخذ أموالهم ، ومن هذا ترى الفرق عظيما بين كثير والكبيت . فالكبيت عرض نفسه كما مر بنا للهلاك أما كثير فإنه استطاع أن يجمع بين حبه لآل علي وبين رضا آل مروان فلم يتعرض لمثل ما تعرض له الكبيت بل عاش آمنا مطمئنا . وقد رحل إلى العراق وقدم مصر واشتهر بكثرة غزله بحسنا . تسمى غزاة حتى قرن بها فأصبح يعرف باسم (كثير غزاة) »

وفاته : توفي كثير عام ١٠٥ هـ في نفس اليوم الذي توفي فيه عكرمة مولى ابن عباس . قال أبو الفرج : « واجتمعت قريش في جنازة كثير ، ولم يوجد لعكرمة من يحميها . وقيل مات اليوم أقمه الناس وأشعر الناس »

(٣) العبلي

هو عبدالله بن عمر انتهى نسبه إلى عبدالله بن شمس بن عبد مناف .
فهو أموي النسب ولكنه كان علوي الهوى . ويكنى أبا عدى . وهو كما
قال صاحب الأغانى شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين .

تشيعة : كان أبو عدى محباً لآل علي ، مخلصاً في حبه لهم . وقد جر
عليه هذا سخط الأمويين فاضطهدوه واحتقروه ، وأقصوه عنهم ،
ومنعوا عنه عطاءهم وقد احتمل كل هذا دون أن تلين قناته . قال أبو الفرج
وكان أبو عدى الأموي الشاعر يكره ما يجري عليه بنو أمية من ذكر علي
ابن أبي طالب صلوات الله عليه ، وسبه على المنابر ، ويظهر الإنكار لذلك
فشهد عليه قوم من بنى أمية بمكة بذلك ونهوه عنه فانتقل إلى المدينة
وقال في ذلك .

شَرِّدُوا بِي عِنْدَ امْتِدَاحِي عَلِيًّا	ورأوا ذاك في داءٍ دويًّا
فَوَرَبِّي لَا أَرْجُ الدَّهْرَ حَتَّى	تُخْتَلَى ^(١) مُهَجَّتِي بِحَبِي عَلِيًّا
وَبِيهِ لِحُبِّ أَحْمَدَ إِنِّي	كُنْتُ أَحَبَّتَهُمْ بِحَبِي النَّبِيًّا
حُبُّ دِينٍ لِأَحْبُّ دُنْيَا وَشِرَالِ	حُبُّ حُبِّ يَكُونُ دُنْيَاوِيًّا
صَاغِي اللهُ فِي الذُّؤَابَةِ مِنْهُمْ	لَا زَنِيَا وَلَا سَنِيَا ^(٢) دَعِيًّا
عَدْوِيًّا خَالِي صَرِيحًا وَجَدِّي	عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ أَبَوِيًّا
فَسَوَاءٌ عَلِيٌّ لَسْتُ أَبَالِي	عَيْشِيًّا دُعِيَّتْ أُمُّ هَاشِمِيًّا

(١) تقطع مهجتي : يقول إنه يموت على حبهم .
(٢) الدعى بالقوم اللصيق بهم دون أن يكون منهم .

وكان أحيانا يمدح الأمويين لينال منهم شيئا من العطاء ولكنهم كانوا يعرضون عنه ويهملون أمره . وإذا منحوه فالنزر اليسير . لقد مدح هشام بن عبد الملك بقصيدة جاء فيها :

عبد شمس أبوك وهو أبونا لانتاديك من مكان بعيد
والقرابات بيننا واشجات^١ مُحْكَمَاتُ القوي بجبل شديد
وظل العبلي واقفا بباب هشام بينما سائر الناس قد سمح لهم بالدخول
وأخيرا دعى فمنحه هشام قدرا يسيرا من المال لم يرضه لنفسه فانصرف
وقال :

خَسَّ حَظِي أَنْ كُنْتُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ
فَأَفُوزَ النَّسَدَةَ فِيهِمْ بِسَهْمٍ وَأَيُّعَ الْآبِ الْكَرِيمِ بِلُومٍ
وبنو مخزوم سبقوا أبا عدى في الدخول على هشام فأجزل لهم العطاء

ولما سقطت الدولة الأموية رثاها بقصيدة قوية جاء فيها :
فبنو أمية خير من وطيء الثرى شرفا وأفضل ساسة أمراؤها

ولما أفضت الدولة إلى بني هاشم وجدوا في تعقب الأمويين والفتك بهم حتى خشى صاحبنا على حياته من الهلاك إذ أنه أموي النسب كما قدمنا . قال صاحب الأغانى : كان أبو عدى الذي يقال له العبلي مجفوا في أيام بني مروان ، وكان الأمر في قتلهم جد إلامن هرب وطار على وجهه نخاف أبو عدى أن يقع به مكروه في تلك الغورة فتواري . وأخذ

داود بن علي حرمه وماله ، فهرب حتى أتى أبا العباس السفاح ، فدخل عليه في غمار الناس متنكرا وجلس حَجْرَةً (ناحية) حتى تقوض القوم وتفرقوا وبقي أبو العباس مع خاصته ، فوثب إليه أبو عدي فوقف بين يديه وقال تصيدة جاء فيها :

إلى أهلِ الرسولِ خدتُ برحلي عذافرةٌ تراعى بالصَّحاريِ
ومنها :

أَتَوَخَّذُ نِسْوَتِي وَيُحَازُ مَالِي وَقَدْ جَاهَرْتُ لَوْ أَغْنَى جِهَارِي
وَأَذَعَرُ أَنْ دُعَيْتُ لِعَبْدِ شَيْسٍ وَقَدْ أَمْسَكْتُ بِالْحَرَمِ الصَّوَارِي
بِنَصْرَةِ هَاشِمٍ وَبِحَقِّ صِهْرٍ لِأَحْمَدَ لَفَّهُ طِيبُ النَّجَارِ
وَمَنْزِلُ هَاشِمٍ مِنْ عَبْدِ شَيْسٍ مَكَانُ الْجِيدِ مِنْ عَلِيَا الْفِقَارِ
فَقَالَ لَهُ السَّفَاحُ : مَنْ أَنْتِ ؟ فَانْتَسَبَ لَهُ فَقَالَ لَهُ : حَقُّ لِعَمْرِي أَعْرِفُهُ
قَدِيمًا وَهُوَ وَدَّةٌ لَا أَجْحَدُهَا ، وَكَتَبَ إِلَى دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ بِإِطْلَاقِ مَنْ حَبَسَهُ مِنْ
أَهْلِهِ وَرَدَّ أَمْوَالَهُ عَلَيْهِ وَإِكْرَامَهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِنَفَقَةِ تَوْصَلُهُ الْمَدِينَةَ ،^(١)

خضب المنصور عليه : ولكن المنصور سمع بقصائده التي يرثي بها
بني أمية فاستقدمه إلى قصره واستنشدته تلك القصائد فقال له : اعفني
يا أمير المؤمنين ، ولكن للمنصور أبي إعفاه ، فأنشد إحدى هذه القصائد
بعد أن أمنه المنصور على حياته ، حتى إذا وصل إلى قوله :
فبنو أمية خير من وطئ الثرى شرفا وأفضل ساسة أمراؤها
قال له : اخرج عني لا قرب الله دارك . فخرج من عنده حتى إذا جاء .

المدينة وجد محمد بن عبد الله بن حسن قد خرج على المنصور فانضم إليه وبايعه . وكان محمد بن عبد الله شديد الميل للعبلي ، فعينه واليا على الطائف فذهب إليها وأقام بها حتى انهزم محمد بن عبد الله فشرع صاحبنا بالكرثة التي تعرض لها فهرب إلى اليمن .

(٤) السيد الحميري

هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، يكنى أباهاشم ويلقب بالسيد . وهو يمني من حمير . قال :
إني امرؤ حميري غير مؤتسبٍ جدِّي رُعيٌّ واخوالي ذوو يزن
ثم الولاء الذي أرجو النجاة به يوم القيامة للهادي أبي الحسن
مولده : ولد السيد الحميري من أبوين إباضيين^(١) بالبصرة عام ١٠٥ هـ في نفس السنة التي مات فيها كثير . وكان أبواه يكفران عليا ويسبانه . روى الأصفهاني^(٢) عن اسماعيل بن الساجر راوية السيد أنه قال : كنت عنده يوما في جناح له ، فأجال بصره ثم قال ، : يا اسماعيل ، طال والله ما شتم أمير المؤمنين عليّ في هذا الجناح . قلت : ومن كان يفعل ذلك ؟ قال : أبواي ، وفي ذلك يقول :

لعن الله والديّ جميعا ثم أصلاهما عذاب الجحيم

شاعريته : والسيد الحميري شاعر مفلح مطبوع ، جيد الشعر إلى أبعد حد ، كثير القصيد . قال الجاحظ في كتاب البيان^(٣) والتبيين

(١) قوم من الخوارج يسبون عليا ويكفرونه .

(٢) الأغاني . (٣) البيان والتبيين ج ١ / ٥٤ .

« والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي ، والسيد الحميري ، وأبو العتاهية وابن أبي عيينة ، وقال أبو الفرج « وكان شاعرا متقدما مطوعا ، يقال بأن أكثر الناس شعرا في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد ، فإنه لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم ، وكان الأصمعي يقول « لولا مذهبه ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقتة » .

وبحسب الآن نقرأ كثيرا لأبي العتاهية ، ولكننا لا نكاد نجد شيئا نقرأه للسيد ، فقد ضاع شعره ، وماتت شهرته ، واندرت أخباره وقبره في زوايا النسيان ، وذلك لأن شعره حوى كثيرا من السب للصحابة فهجره الناس خوفا على أنفسهم من الكفر . قال صاحب الأغاني : « وإنما مات ذكره ، وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه في شعره ، وما يستعمله من قذفهم والطعن عليهم فتحومى شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره الناس تخوفا وتوقيا » .

تشيعة : نشأ السيد الحميري في بيت كثر فيه سب على ولعنه ، فلم يسلك مسلك أبويه في هذا ، بل مال بطبيعته إلى آل علي ، وأحبهم حبا شديدا وأخلص في حبه ، وأفرط في ولاته . وقد عرف أبواه ذلك منه فهما بقتله . وكان على مذهب الكيسانية يدين برجعة محمد بن الحنفية . قال الشهرستاني^(١) عند الكلام عن محمد بن الحنفية « كان السيد الحميري

(١) الملل والحل ص ٥٦ .

يعتقد أنه لم يمت وأنه في جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه وعنده
عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ، ويعود بعد الغيبة فيملاً الأرض
عدلاً كما ملئت جوراً ، وقال صاحب فوات الوفيات « كان رافضياً
زائغاً عن القصد له مدائح جمّة في آل البيت » . وقال ابن حزم^(١) « ومنهم
من قال بنبوته « أي على بن أبي طالب ، وبتناسخ الأرواح ومنهم السيد
الحميري » . والرأي عندي أن ابن حزم لم يوفق إلى الصواب فيما ذكر عن
السيد ، فأخبار هذا الشاعر وقصائده التي وصلت إلينا لا تؤيد قول
ابن حزم فيه بل هي تثبت إثباتاً قاطعاً أن السيد كان يؤمن بعلي كوصي
للرسول وكخليفة له بالنص وأن من خالف أمر الرسول فقد كفر ،
ولهذا انهمال على بعض الصحابة ممن ناهضوا علياً بالطعن والسب واللعن .

عاش السيد طوال حياته يشيد بمناقب آل البيت ، ويزود عنهم ،
ويدافع عن حقوقهم المهضومة ، وكان قويا في دفاعه ، جريئاً في إظهار
حبه وإخلاصه . وقد بلغ به حبه لآل علي أنه كان إذا رأى رجلاً ينال
منهم لا يتأخر عن قتله إن استطاع إلى ذلك سبيلاً . روى أنه كان
مسافراً إلى الأهواز على ظهر سفينة ، وكان معه رجل أظهر بغضه
لعلي ، فلما كان الليل قام هذا الرجل ووقف على حرف السفينة ليبول ،
فما كان من السيد الحميري إلا أن دفعه فهوى المسكين في الماء وغرق .
وسمع مرة رجلاً ينالهن عثمان فقال :

شَفِيتَ مِنْ نَعْتَلٍ فِي نَحْتِ أَثْلَتِهِ فاعمَدْ هُدَيْتَ إِلَى نَحْتِ الغَوِيَّيْنِ
اعمَدْ هُدَيْتَ إِلَى نَحْتِ اللذَيْنِ هَمَا كَانَا عَلَى الشَّرِّ لَوْ شَاءَا غَنِيَّيْنِ

(١) الفصل في اللل والأهواء والنحل لابن حزم ص ١١٤ .

وقال وهو يحضر :

بَرَّثْتُ إِلَى الْإِلَهِ مِنْ ابْنِ أَرْوَى وَمِنْ دِينِ الْخَوَارِجِ أَجْمَعِينَ

وكان السيد كما رأيت مما تقدم يدين بإمامة محمد بن الحنفية ويعتقد أنه هو المهدي المنتظر . فهو من هذه الناحية يتفق مع كثير في المذهب ، وتنج عن هذا أن بعض أشعار أحدهما تنسب للآخر . وللسيد الحميري قصيدة جيدة خاطب فيها ابن الحنفية مستعجلا عودته لأنه غاب ستين عاما ، وقد أضر غيابه بقومه . قال :

أَلَا قَلُّ لِلْوَصِيِّ فَدَتِكَ نَفْسِي أَطَلَّتْ بِذَلِكَ الْجَبَلِ الْمَقَامَا
أَضْرَّ بِمَعْشِرٍ وَالْوَكِّ مَنَا وَسَمَّوْكَ الْخَلِيفَةَ وَالْإِمَامَا
وَعَادَ وَافِيكَ أَهْلَ الْأَرْضِ طَرًّا مَقَامُكَ عَنْهُمْ سِتِّينَ عَامَا
وَمَا ذَاقَ ابْنُ خَوْلَةَ طَعْمَ مَوْتٍ وَلَا وَاوَرَتْ لَهُ أَرْضٌ عِظَامَا
لَقَدْ أَوْفَى بِمُورِقِ شَعْبِ رَضْوَى تَرَاجَعُهُ الْمَلَائِكَةُ الْكَلَامَا
وَإِنْ لَهُ بِهِ لَمَقِيلَ صَدَقٍ وَأَنْدِيَّةً تَحْدُثُهُ كِرَامَا
هَدَانَا اللَّهُ إِذْ جُزِّمَ لِأَمْرٍ بِهِ وَلَدِيهِ نَلْتَمِسُ التَّمَامَا
تَمَامَ مَوْدَةٍ الْمَهْدَى حَتَّى تَرَوْا رَايَاتِنَا تَتْرَى نِظَامَا

وقد نسب الدكتور طه^(١) حسين بك هذه القصيدة إلى كثير . قال « وأنا أروى لك شيئا من شعر كثير فيها « الرجعة » فانظر إلى هذه الأبيات الجيدة التي يتعجل بها عودة ابن الحنفية إلى الأرض ليرفع فيها لواء بني هاشم » ثم أورد القصيدة السالفة وعلق عليها بقوله « ولعلك

(١) حديث الأربعاء - ١ / ٣٦٥ .

تلاحظ معي أن غياب محمد بن الحنفية وإن كان أضر بقوم فليس كثير من هؤلاء القوم . . . ولكن نسبة هذه القصيدة إلى كثير خطأ شنيع لأن نظرة بسيطة فيها تنفي نسبتها إلى كثير نفيًا باتًا . أنظر إلى ما ورد فيها .

وعادوا فيك أهل الأرض طرا مقامك عنهم ستين عاما
فإذا كان محمد بن الحنفية مات عام ٨١ هـ لزم أن يكون قائل هذا
الشعر موجودا في عام ١٤١ هـ . ومن حيث إن كثيرا مات في عام ١٠٥ هـ
ولم يعيش ستين عاما بعد ابن الحنفية ، فمن المؤكد أنه لم يقل هذا الشعر .

كان السيد لا يسمع بمنقبة لعلي إلا نظم فيها شعرا . وحدث أنه
كان في مجلس ونسب إليه الرفض فأنكر ، فطلب منه بعض الحاضرين
أن يمدح أبا بكر وعمر . فقال في ذلك مشيرا إلى حادثة غدِيرِ خُم ،
وقد سبق أن تكلمنا عنها عند الشعر المنسوب إلى الإمام علي .

إذا أنا لم أحفظُ وصاةَ محمدٍ ولا عهدَهُ يومَ الغديرِ المؤكدا
فإني كمن يشرى الضلالةَ بالهدى تنصّرَ من بعدِ الثقي وَهُودًا
ومالي وتيم أو عدى وإنما أولو نعمتي في الله من آلِ أحمدًا
تتمّ صلاتي بالصلاةِ عليهمُ وليستُ صلاتي بعد أن أتشهدًا
بكامليةٍ إن لم أصلِّ عليهمُ وأدعُ لهم ربا كريما مُمجِّدًا
بذلتُ لهم وُدِّي ونُصحي ونُصرتي مدى الدهر ما سُميتُ يا صاحِ أحمدًا
وإن أمراً يُلحني على صدقِ ودِّهم أحقُّ وأولى فيهم أن يُفندًا
فإن شئتَ فاخترَ عاجلَ النعمِ ضلَّةً وإلا فأمسِكْ كي تصانَ وتُحمَّدًا

ثم نهض مغضبا .

وسمع السيد مرة رجلا يقول : أشعر الناس من قال :

محمد خيرٌ من يمشى على قدمٍ وصاحباهُ وعثمانُ بنُ عفانا

فوثب السيد وقال : أشعر والله منه الذي يقول :

سائلٌ قريشًا إذا ما كنتَ ذاعمهٍ من كانَ أثبتَها في الدينِ أوتادًا

من كانَ أعلبها علما وأحكمها حلما وأصدقها قولاً وميعادًا

إن يصدُّ قوكَ فلنَ يعدوا أباهُ حسني إن أنتَ لم تلقَ للأبرارِ حسادًا

وكان السيد يجلس مع قوم أخذوا يتحدثون عن الزرع والنخل ،

فهم بالانصراف فسئل عن سبب ذلك فقال .

إني لأكره أن أطيلَ بمجلسٍ لا ذكْرَ فيه لِقْضْلِ آلِ محمدٍ

لا ذكرَ فيه لأحمدٍ ووصيِّهِ وبينه ذلكَ مجلسٌ نطفَ ندي

إن الذي ينسأهمُ في مجلسٍ حتى يفارقه لغيرِ مُسدِّدٍ

ومن قوله في محمد بن الحنفية .

يُغيبُ عنهمُ حتى يقولوا تَضَمَّنْهُ بِطَيْبَةِ بَطْنِ لُحْدٍ

سِنِينَ وَأَشْهَرًا وَيُرَى بِرَضْوَى بِشِيعِ بَيْنِ أَمَّارٍ وَأَسْدٍ

مُقيمٌ بينَ آرامٍ وَعَيْنٍ وَحَفَّانٍ تروحُ خِلالَ رُبْدٍ

تُرَاعِيهَا السَّبَاعُ وَلَيْسَ مِنْهَا مُلَاقِيْنٌ مُفْتَرِسًا بِحَدِّ

أَمِنَ بِهِ الرَّدَى فَرْتَعَنَ طَوْرًا بِلا خَوْفٍ لَدَى مَرْعَى وَوَرْدٍ

حلفتُ برب مكة والمصلّى وبيتِ طاهرِ الأركانِ فردِ
يَطوفُ به الحجيجُ وكلّ عامٍ يحلُّ لديهِ وقدُّ بعد وفدِ
لقد كان ابنُ خولةَ غيرَ شكِّ صفاً ولايتي وخلوصَ ودّي
فما أحدٌ أحبُّ إليّ فيما أُسرُّ وما أبوحُ به وأبدي.

وهي طويلة ترى فيها خيالاً ممتعاً أخذ ينمو يوماً بعد يوم حتى
أصبح عند عامة المسلمين حقائق لا تقبل الشك ولا يأتيها الباطل .

مدحه للعباسيين : ولما كان السيد يؤمن برجعة ابن الحنفية ، لم يجد
بأساً في مدح العباسيين ، فقال فيهم القصائد الرائعة ، ونال منهم الجوائز
والصلوات . وكان العباسيون يعرفون أنه غير صادق في مدحهم لكنهم
كانوا يتغاضون عنه . وقد كان لا يرى مانعاً من كسب عطف العباسيين
وانتظار ساعة الفرج والخلاص ، تلك الساعة التي اشتاق كثيراً إليها ،
وهي التي يرجع فيها محمد بن الحنفية يقدمه اللواء ، ليملاً الأرض عدلاً
وصلاحاً كما ملئت جوراً وفساداً . وهو في موقفه من العباسيين يشبه
تماماً موقف كثير من الأمويين .

وفاته : توفي السيد ببغداد عام ١٧٣ هـ في أوائل خلافة الرتيد .

(٥) دعبل الخزاعي

هو دِعْبِلُ بن علي بن رزين بن سليمان ، ويكنى أبا علي . ينتهي نسبه إلى خزاعة فهو يمني ولذلك كان يتعصب لليمانية .

مولده : ولد عام ١٤٨ هـ ببلدة الطيب وهي بين واسط وبغداد .

شاعريته : قال ابن خلكان « كان شاعرا مجيدا ، إلا أنه كان بذيء اللسان ، مولعا بالهجو والخط من أقدار الناس ، وقال أبو الفرج^(١) « شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان ، وهو تلميذ مسلم بن الوليد الأنصاري وعليه تخرج . وكان البحتري يفضلهُ على مسلم . قال « دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم ، فقليل له : وكيف ذلك ، قال « لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم^(٢) » .

أخلاقه وصفاته : كان دعبل هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ، ولا من الوزراء ولا من أولادهم ولا ذو نباهة أحسن إليه أم لم يحسن ولا أفلت منه كبير أو عظيم . هجا الرشيد والمأمون والمعتصم . وكان كثير الأسفار ، أقام مدة ببغداد ثم رحل منها إلى دمشق ومصر كما سافر إلى خراسان .

تشيعة : قال أبو الفرج « وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل إلى علي صلوات الله عليه ، وقد نظم قصيدة في مدح آل البيت تعتبر من أحسن الشعر وأسن المدائح ، قصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان

(١) الأغانى ج ١٨ / ٢٩ .

(٢) الأغانى ج ١٨ / ٣٧ .

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وخلع عليه بردة من ثيابه فسمع بذلك أهل بلدة قم « وهي بين خراسان والعراق ، فقصدوا دعبلًا وعرضوا عليه أن يبيعهم هذا الثوب بثلاثين ألف درهم فأبى فألحوا عليه ولكنه أمعن في الإباء ، ففكروا في أن يأخذوه غصبا ، عندئذ اضطر إلى إجابتهم إلى ما طلبوا على أن يعطوه كما يضعه في كفته . وقد قيل إنه كتب هذه القصيدة في ثوب وأحرم فيه وأوصى أن يكون في أكفانه . قال ياقوت : « ونسخ هذه القصيدة مختلفة في بعضها زيادات يظن أنها مصنوعة ألحقها بها أناس من الشيعة ، وإنا موردون هنا ما صح منها . قال :

ومنزُلٌ وحيٌّ مُقْفِرُ العَرَصاتِ	مَدَّ أَرِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ
وبالرُّكْنِ والتَّعْرِيفِ والجَمْرَاتِ	لَا لِرَسُولِ اللَّهِ بِالْحَيْفِ مِنْ مِيٍّ
وحَمَزَةِ والسَّجَادِ ^(١) ذِي الثَّنَاتِ	دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ
وَلَمْ تَعْفُ لِلْأَيَّامِ وَالسَّنَوَاتِ	دِيَارُ عَفَاها كُلَّ جَوْنٍ مُبَاكِرٍ
مَتَى عَهْدُهَا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَوَاتِ	قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا
أَفَانِينَ فِي الْآفَاقِ ^(٢) مُفْتَرَقَاتِ	وَأَيْنَ الْأَوْلَى شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى
وَهُمْ خَيْرُ قَادَاتٍ وَخَيْرُ حُجَّاتِ	هَمْ أَهْلُ مِيرَاثِ النَّبِيِّ إِذَا اعْتَزَوْا
وَمُضْطَغِنٌ ذُو إِحْتَةٍ وَتِرَاتِ	وَمَا النَّاسُ إِلَّا حَاسِدٌ وَمُكذَّبٌ
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ أَسْبَلُوا الْعَبْرَاتِ	إِذَا ذَكَرُوا قَتْلَى بَيْدَرٍ وَخَيْرٍ
وَأُخْرَى بَفْحٍ نَالَهَا صَلَوَاتِي	قُبُورٌ بِكُوفَاتٍ وَأُخْرَى بِطَيْبَةٍ

(١) هو علي بن عبد الله بن العباس سمي بذلك لكثرة السجود يريد أن ركنته تأثرتنا

بالسجود .

(٢) شطت بعدت وأفانين حال مما قبله .

وقبرٌ يبغدادٍ لِنَفْسٍ زَكِيَّةٍ
 فَأَمَّا الْمُصِمَّاتُ الَّتِي لَسْتُ بِالْعَا
 إِلَى الْحَشْرِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ قَائِمًا
 نَفُوسٌ لَدَى النَّهْرَيْنِ مِنْ أَرْضِ كَرْبَلَا
 تَقَسَّمُهُمْ رَبُّ الزَّمَانِ كَمَا تَرَى
 سِوَى أَنْ مِنْهُمْ بِالْمَدِينَةِ عُصَبَةٌ
 قَلِيلَةٌ زُوَّارٍ سِنْوَى بَعْضِ زُورٍ
 لَهُمْ كُلَّ حِينٍ نَوْمَةٌ بِمُضَاجِعِ
 وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَأَهْلِهَا
 تَنَكَّبُ لِأَوَاءِ^(١) السَّنِينِ جَوَارُهُمْ
 إِذَا وَرَدُوا سَحِيلًا تَشْمَسُ بِالْقَنَا
 وَإِنْ فَخَرُوا يَوْمًا أَتَوْا بِمُحَمَّدٍ
 مَلَامِكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ
 تَخَيَّرْتَهُمْ رُشْدًا لِأَمْرِي فَإِنَّهُمْ
 يَا رَبِّ زِدْنِي مِنْ يَقِينِي بِصِيرَةٍ
 بِنَفْسِي أَنْتُمْ مِنْ كَهُولٍ وَفِتْنَةٍ
 أَحِبُّ قَصِيَّ الرَّحْمِ مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ

تَضَمَّنَهَا الرَّحْمَنُ فِي الْغُرُفَاتِ
 مَبَالِغَهَا مِثِّي بَكْنُهُ صِفَاتِ
 يُفَرِّجُ مِنْهَا اللَّهُمَّ وَالْكُرْبَاتِ
 مُعَرِّسُهُمْ فِيهَا بِشَطِّ فُرَاتِ
 لَهُمْ عُحْمَرَةٌ مَغْشِيَةٌ الْحُجْرَاتِ
 مَدَى الدَّهْرِ أَنْضَاءٌ عَنِ الْأَزْمَاتِ
 مِنَ الضَّبْعِ وَالْعِقْبَانِ وَالرُّنَخَاتِ
 لَهُمْ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفَاتِ
 مَغَاوِيرٍ^(٢) يُخْتَارُونَ فِي السَّرَوَاتِ
 فَلَا تَصْطَلِيهِمْ بَجْرَةٌ الْجَمْرَاتِ
 مَسَاعِرُ بَجْرِ الْمَوْتِ وَالنَّعْمَرَاتِ
 وَجَبْرِيلَ وَالْفِرْقَانِ ذِي السُّورَاتِ
 أَجْبَائِ مَا عَاشُوا وَأَهْلُ ثِقَاتِي
 عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرَةٌ الْخَيْرَاتِ
 وَزِدْ حُبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي
 لِفَكَ عُنَاةٍ أَوْ لِحَمَلِ دِيَاتِ
 وَأَهْجُرْ فِيكُمْ أُسْرَتِي وَبَنَاتِي

(١) مغاوير جمع مغوار : المقاتل الكثير العاراب .

(٢) اللاواء : الشدة وضيق العيش .

وَأَكْتُمُ حَيِّكُم مَخَافَةَ كَاشِحٍ
 لَقَدْ حَفَّتْ الْأَيَّامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا
 أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ نُحِفُّ جُسُومَهُمْ
 بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ
 إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ
 قُلُوبَ الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْغَدِي
 خُرُوجِ إِمَامٍ لِإِمْحَالَةِ خَارِجٍ^(١)
 يُمَيِّزُ فِينَا كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ
 سَأَقْصُرُ نَفْسِي جَاهِدًا عَنِ جَدِّهِمْ
 فَيَا نَفْسَ طَيْبِي وَيَا نَفْسَ أَبِيئْرِي
 فَإِنْ قَرَّبَ الرَّحْمَنُ مِنْ تِلْكَ مُدَّتِي
 شَفِيفَتُ وَلَا أَتْرُكُ لِنَفْسِي رِزِيَّةً
 أَحَاوِلُ نَقْلَ الشَّمْسِ مِنْ مُسْتَقَرِّهَا
 فَمَنْ عَارَفٍ لَمْ يَنْتَفِعْ وَمُعَانِدٍ
 قُصَارَايَ مِنْهُمْ أَنْ أُمُوتَ بِغُصَّةٍ
 كَأَنَّكَ بِالْأَضْلَاعِ قَدْ ضَاقَ رَحْبُهَا

عِنْدِي لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرُ مُوَاتٍ
 وَإِنِّي لِأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَفَائِي
 وَأَيْدِيهِمْ مِنْ فِيهِمْ صَفِرَاتٍ
 وَآلُ زِيَادٍ حُفْلٌ^(٢) الْقَصْرَاتِ
 وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْقَلَوَاتِ
 أَكْفَا عَنِ الْأَوْتَارِ مُنْقَبِضَاتِ
 لِقَطْعِ قَلْبِي إِثْرُهُمْ حَسْرَاتِي
 يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ
 وَيَجْزِي عَلَى النِّعْمَاءِ وَالنَّقِمَاتِ
 كَفَانِي مَا أَلْتَقَى مِنَ الْعِبْرَاتِ
 فَغَيْرُ بَعِيدٍ كُلُّ مَا هُوَاتِ
 وَأَخَّرَ مِنْ عُمْرِي لِطُولِ حَيَاتِي
 وَرَوَيْتُ مِنْهُمْ مِنْهُلِي وَقَاتِي
 وَأَسْمِعُ أَحْجَارًا مِنَ الصَّلْدَاتِ
 يَمِيلُ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالشُّبُهَاتِ
 تَرَدَّدُ بَيْنَ الصَّدْرِ وَاللَّهَوَاتِ
 لِمَا ضَمَنْتَ مِنْ شِدَّةِ الزَّفَرَاتِ

(١) جمع قصرة وهي العنق .

(٢) خارج صفة لامام وخبر لا محذوف تقديره واقع

فأنت تلمح في هذه القصيدة أن دعبلًا كان يرى رأى كثير والسيد
الخميري من أن هناك إماما سيرجع ويقوم على اسم الله والبركات ، يزيل
ما وقع على العلويين من ظلم واضطهاد ، وينتقم من أعدائهم شر انتقام .
وكان دعبل يعلل نفسه بهذه الآمال ويعزيها ويواسيها بخروج إمام لا محالة
خارج . ولم يسلك دعبل سبيل كثير والسيد الخميري في هجاء الصحابة
وسبهم ، بل اكتفى بمدح العلويين والطعن في أعدائهم من أمويين
وعباسيين . وقد بكى على بن موسى الرضاء بكاء شديدا حينما أنشده
دعبل هذه القصيدة ، وتجلى حزنه وجزعه ، وارتفع عويل النساء
وصياحهم فكان من هذا منظر مؤثر . وفي هذه القصيدة يقول أبو الفرج^(٢)
« وقصيدته مدارس آيات خلت من تلاوة . من أحسن الشعر وفاخر
المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام » . وقال ياقوت (قصيدته التائية
في أهل البيت من أحسن الشعر وفاخر المدائح)

وفاته : وظل دعبل طول حياته مرهوب اللسان ، خائفا من هجائه
الخلفاء ، فقضى دهره كله هاربا متواريا . . . كان يقول « أنا أحمل خشيتي
على كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أحدا يصلبني عليها »
مات سنة ٢٤٦ هـ

(٦) ابن الرومي

هو علي بن العباس . ولد ببغداد عام ٢٢١ هـ وتوفي بها عام ٢٨٤ هـ فأدرك ثمانية خلفاء من بني العباس . وكانت الخلافة العباسية في تلك الأيام قد سقطت مكانتها إلى الحضيض ، ورالت هيبتها وانعدم نفوذ الخلفاء وانحلت الامبراطورية الإسلامية وقامت على أنقاضها دول مستقلة شاعريته: كان ابن الرومي قوى الشاعرية ، يعوص على المعاني غوصا ويأتي بما يتير الإعجاب في النفوس . وقد ترك شعراً كثيراً جمع في ديوان ضخيم .

أخلاقه وصفاته: كان ابن الرومي يتطير ويفرط في التطير وقد عرف أصحابه منه ذلك فركبوه بالدعابة والسخرية . وكان ابن الرومي جريئاً جداً في هجاء الأمراء والوزراء والعظماء ، لم يسلم من لسانه أحد من معاصريه . وبينه وبين دعبل شبه كبير في هذا الباب .

ثقافته وتهذيبه: أخذ ابن الرومي بقسط وافر من العلوم والمعارف فألم بالفلسفة إلاماً جيداً ظهر أثره في شعره كالم بقسط وافر من الشعر وحفظ القرآن في صباه ، ووعى قدراً وافراً من التاريخ والأدب .

تشيعة: كان ابن الرومي محباً لآل علي . وقد ورث هذا الحب عن أبويه ، فقد كانت أمه من أصل فارسي والفرس بطبيعتهم ميالون إلى آل علي . وسبى علياً وهو أحب اسم عند الشيعة . ولذلك نشأ علي ما نشأ عليه أبواه من ولاء وإخلاص لآل البيت وكان غاضباً على العباسيين ، ساخطاً عليهم ، يتمنى زوالهم ويشتهي ذهابهم ، ويؤمل أن تقوم علي

أنقاض الخلافة العباسية خلافة علوية . وله قصيدة جيمية يرثى بها يحيى بن عمر بن حسين بن علي . وكان قد ثار في وجه العباسيين ، بعد أن حرمه العباسيون من المال حتى أملق إملاقاً شديداً وعانى شظف العيش وقسوة الفقر . وكان يحيى محبوباً من الناس لما امتاز به من صفات حميدة ، وخلال كريمة . وقد هزم وقتل وحملت رأسه إلى بغداد وعلقت على عمود ، فلما رآها البغداديون هموا بالثورة فبادر أولو الأمر بإنزالها ، وقد ثار خاطر ابن الرومي وعظم ألمه لما يقع على آل البيت من نكبات جسام من حين إلى حين ، فجادت قريحته بقصيدة في منتهى القوة والروعة نذكر منها :

أمامك فانظر أي نهجيك تنهج	طريقان شتى ، مستقيم وأعوج
ألا أيهدا الناس طال ضربكم	بال رسول الله فآخشوا وأرتجوا
أكل أوان للنبي محمد	قتيل زكي بالدماء مخرج
تبيعون فيه الدين شر أمة	فله دين الله قد كاد يمرج
بني المصطفى ! كم يأكل الناس شلوكم	لبلواكم — عما قليل — مخرج
أما فيهم راع لحق نبييه	ولا خائف من ربه يتخرج
ألا خاب من أنساه منكم نصيبه	متاع من الدنيا قليل وزبرج
أبعد المكنى بالحسين شهيدكم	تضي مصاييح السماء فتسرج
وكيف نبكى فائزاً عند ربه	له في جنان الخلد عيش مخرج
وقد نال في الدنيا سناء وصية	وقام مقاماً لم يقمه مزلاج
فإن لا يكن حياً لدنيا فإنه	لدى الله حى في الجنان مزوج
وكنا نرجيه لكشف عمائه	بأمثاله أمثالها تبلج

أَبَيْتُ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ كَأَنَّمَا
 أَبْحِي الْعُلَى لَذِكْرِكَ لَهْفَةٌ
 أَحِينَ تَرَاءَتَكَ الْعَيُونَ جَلَاءَهَا
 نَفْسِي وَإِنْ فَاتَ الْفِدَاءُ بِكَ الرَّدَى
 لِمَنْ تَسْتَجِدُّ الْأَرْضُ بَعْدَكَ زِينَةً
 سَلَامٌ وَرِيحَانٌ وَرَوْحٌ وَرَحْمَةٌ
 وَلَا بَرَحَ الْقَاعِ الَّذِي أَنْتَ جَارُهُ

ومنها في الطعن على العباسيين :

أَجْنُوا بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ شَنَايِكُمْ
 وَخَلُوا وَلَاةَ السُّوءِ مِنْكُمْ وَغِيهِمْ
 نَظَارِ لَكُمْ أَنْ يُرْجَعَ الْحَقُّ رَاجِعٌ
 عَلَيَّ حِينَ لَا عُدْرِي لِمُعْتَدِرِيكُمْ
 فَلَا تَلْقَهُوا الْآنَ الضَّغَائِنَ بَيْنَكُمْ
 غُرْرَتُمْ لِأَنَّ صِدْقَتُمْ أَنْ حَالَةً
 لَعَلَّ لَكُمْ فِي مُنْطَوَى الْغَيْبِ نَارًا
 بِمَجْرٍ تَضِيقُ الْأَرْضُ مِنْ زَفْرَاتِهِ
 إِذَا شِيمَ بِالْأَبْصَارِ أَبْرَقَ بِيضُهُ
 يُؤَيِّدُهُ رُكْنَانِ ثُبَّتَانِ ، رَجَلَةٌ
 عَلَيْهَا رِجَالٌ كَاللِّيُوثِ بِسَالَةً

وَأَوْكُوا عَلَيَّ مَا فِي الْعُبَابِ وَأَشْرَجُوا
 فَأَحْرَبِهِمْ أَنْ يَغْرُقُوا حَيْثُ لَجَّجُوا
 إِلَى أَهْلِهِ يَوْمًا فَتَشَجُّوا كَمَا شَجُّوا
 وَلَا لَكُمْ مِنْ حِجَّةِ اللَّهِ مَخْرَجٌ
 وَبَيْنَهُمْ إِنَّ الْوَأَيْحَ تَنْتِجُ
 تَدُومُ لَكُمْ ، وَالْدَهْرُ لَوْ نَانَ أَخْرَجُ
 سَيَسْمُو لَكُمْ وَالصَّبْحُ فِي اللَّيْلِ مُوجٌ
 لَهُ زَجَلٌ يَنْفِي الْوَحُوشَ وَهَزْمَجٌ
 بَوَارِقَ لَا يَطِيعُهُنَّ الْمُجَمَّعُ
 وَخَيْلٌ كَأَرْسَالِ الْجَرَادِ وَأَوْشَجُ
 بِأَمْثَالِهَا يُثْنَى الْأَبِيُّ فَيَنْجَعُ

تَدَانُوا فَالِنَفْعِ فِيهِمْ خِصَاصَةٌ
فِيدْرِكُ ثَارَ اللَّهِ أَنْصَارُ دِينِهِ
وَيَقْضَى إِمَامُ الْحَقِّ فِيكُمْ قِضَاءَهُ
وَتُظْفَنُ خَوْفُ السَّبِيِّ بَعْدَ إِقَامَةِ
وَمِنْهَا :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يَمْسُوا خِصَاصًا، وَأَنْتُمْ
تَمْشُونَ مَخْتَالِينَ فِي حُجْرَاتِكُمْ
وَلِيدُهُمْ بَادِي الضَّوَى وَوَلِيدُكُمْ
تَذُودُونَهُمْ عَنِ حَوْضِهِمْ بِسُيُوفِكُمْ
فَقَدْ أَلْجَتْهُمْ خَيْفَةَ الْقَتْلِ عَنْكُمْ
وَمِنْهَا :

أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَطِيبُوا وَتَخَبُّشُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْهُمْ وَكَانَ أَبُوكُمْ
فَلَنْ تَعْدَمُوا مَا حَنَّتْ النَّيْبُ فِتْنَةً
وَفَدَّ بَدَأَتْ لَوْ تُزْجَرُونَ بِرِيحِهَا
وَأَنْ يَسْبِقُوا بِالصَّالِحَاتِ وَيَفْلُجُوا
أَبَاهُمْ فَإِنَّ الصَّفْوَةَ بِالرَّتْقِ يُمَزَّجُ
تَحْشَى كَمَا حَشَى الْحَرِيقُ الْمُؤَرَّجُ
بِوَأَجْهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ تَبْجُجُ

فَأَنْتَ تَرَى فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الطَّوِيلَةِ أَنَّ ابْنَ الرَّومِيِّ عَرَضَ نَفْسَهُ
لَا نَتَّقَامُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمَنْ مَالَاهُمْ مِنْ أَمْرَاءِ وَوُزَرَاءِ وَقَوَادِمَ ، لَمْ يَخْتَسِ
صَاحِبِنَا بِطَشْتِهِمْ وَلَا كَيْدِهِمْ وَرَاحَ يَعْرِضُ بِآلِ الْعَبَّاسِ تَعْرِيفًا تَسْهِدِيًّا ،
وَيَنْذِرُهُمْ عَاقِبَةَ الْبَغْيِ وَالْعَدْوَانِ بِقِيَامِ رَجُلٍ مِنْ آلِ الْبَيْتِ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ

توى ، يستطيع أن يدمر الخلافة العباسية تدميرا تاما وأن يحكم الناس بالعدل والإحسان ويقضى على الفحشاء والمنكر والبغى . وذكّر أن هذه الثورة قد ظهرت بوادرها وأصبح زوال العباسيين قاب قوسين أو أدنى . وقد تشيع ابن الرومى فى غير هذه القصيدة ، بما لا داعى لذكّره . وقد كان صاحبنا معتدلا فى تشيعه فلن نجد له كلمة نائية فى حق أحد من الصحابة .

(٧) المفجع البصرى .

هو محمد بن عبيد الله الكاتب المعروف بالمفجع البصرى . ويكنى أبا عبد الله . قال ابن النديم فى كتاب الفهرست ^(١) إنه « لقي ثعلبا وأخذ عنه وعن غيره . وكان شاعرا شيعيا وله قصيدة يسميها بالأشباه يمدح فيها عليا عليه السلام ، وقال صاحب يتيمة الدهر « والمفجع البصرى صاحب ابن دريد والقائم مقامه فى التأليف والإملاء . حدث ابن نصر قال ، حدثني بعض المشايخ البصريين قال : كان المفجع وشمال يتهاجيان وكان شمال سنيا والمفجع شيعيا ، ثم أورد الثعالبي مقطوعة للمفجع فى هجاء شمال أعرضت عن ذكرها لقبح ما فيها . وقد هجاه أحد الشعراء بقوله .

إن المفجع ويله شر الأوائل والأواخر
ومن النوادر أنه يملئ على الناس النوادر

وقد لقب بالمفجع لبيت قاله .

شاعريته : قال المرزبانى « هو شاعر مكثّر عالم أديب ، وقال الثعالبي « وأما شعره فقليل كثير الحلاوة يكاد يقطر منه ماء الظرف ، وقال عن

كذلك إنه « شاعر البصرة وأديبها . وكان يجلس في الجامع بالبصرة فيكتب عنه ويقراً عليه الشعر واللغة والمصنفات » .

مدحه لآل البيت : سمع المفجع حديثاً رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في محفل من أصحابه : إن تنظروا إلى آدم في علمه ، ونوح في همه ، وإبراهيم في خلقه ، وموسى في مناجاته ، وعيسى في سنه ، ومحمد في هديه وحلمه ، فانظروا إلى هذا المقبل ، فتناول الناس فإذا هو علي بن أبي طالب . فأورد المفجع ذلك في قصيدة وضمنها مناقب كثيرة تعزى إلى علي . قال :

أَيُّهَا اللَّائِمِيُّ لِحُبِّي عَلِيًّا	قُمْ ذَمِيماً إِلَى الْجَحِيمِ خَزِيًّا
أَبْخَيْرِ الْأَنْبَاءِ عَرَّضْتَ لِأَزِيٍّ	تَ مَدُّو دَاعٍ عَنِ الْهُدَى مَزُوِيًّا
أَشْبَهَ الْأَنْبِيَاءِ كَهْلًا وَزَوْلاً	وَفَطِيماً وَرَاضِعاً وَغَدِيًّا
كَانَ فِي عَلَيْهِ كَادِمٌ إِذْ عُدُّ	لَيْمٌ شَرَحَ الْأَسْمَاءِ وَالْمَكْنِيًّا
وَكَنُوحٍ نَجِيٍّ مِنَ الْهَلَاكِ مِنْ سِيٍّ	يَرَى فِي الْفَلَكَ إِذْ عَلَا الْجُودِيًّا
وَجَفَا فِي رِضَا الْإِلَهِ أَبَاهُ	وَاجْتَوَاهُ وَعَدَّهُ أَجْنَبِيًّا
كَاعْتَرَالَ الْخَلِيلِ آزَرَ فِي الْوَدَعِ	لَهُ وَهَجْرَانِهِ أَبَاهُ مَلِيًّا
وَدَعَا قَوْمَهُ فَأَمَّنَ لُوطٌ	أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْهُ تَرَحُّماً وَرِيًّا
وَعَلِيٌّ لَمَّا دَعَاهُ أَخُوهُ	سَبَقَ الْحَاضِرِينَ وَالْبَدْوِيًّا
وَلَهُ مِنْ أَبِيهِ ذِي الْأَيْدِ إِسْمًا	عَيْلَ شَبَهُ مَا كَانَ عَنِّي حَفِيًّا
إِنَّهُ عَاوَنَ الْخَلِيلَ عَلَى الْكَعْبِ	بِهِ إِذْ شَادَ رُكْنَهَا الْمُبِيًّا

ولقد عاونَ الوصيُّ حبيبَ الـ
أمَّ حَمَلِ النَّبِيِّ كِي يَقَطَعَ الْأَصْ
فخناهُ ثَقُلُ النَّبُوءَةِ جُتِي
فارتقى منكبَ النَّبِيِّ عَلِيٌّ
فأحاطَ اللثامَ عن ظاهرِ الكعبِ
ولو أن الوصيَّ حاولَ مَسَّ الذِّ
أفهلُ تُعْرِفُونَ غَيْرَ عَلِيٍّ
لَهُ إِذْ يُغْسَلَانِ مِنْهَا الصَّفِيًّا
نَامَ مِنْ سَطْحِهَا الْمُثُولَ الْحَيًّا
كَادَ يَنَادُ تَحْتَهُ مَثِيًّا
صِنُوهُ مَا أَجَلَ ذَا المَرْقِيَّا
بِهِ يَتَنَفَّسُ الرَّجَّاسَ عَنْهَا نَفِيًّا
جُمَ بِالْكَفِّ لَمْ يَجِدْهُ قَصِيًّا
وَإِبْنَهُ اسْتَرْحَلَ النَّبِيُّ مَطِيًّا
أورد ياقوت^(١) هذه القصيدة وقال « وشعر المفجع كثير حسن » .

وقد مدح بعض العلويين المعاصرين له بكثير من القصائد الجيدة
نذكر منها قصيدته التي مدح بها أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب الزينبي وهي:
للزَّيْنَبِيِّ عَلِيٍّ جَلَالَةٌ قَدْرِهِ
خُلِقَ كَطَعْمِ المَاءِ غَيْرِ مُرِّدٍ
وشهامةٌ تُقْصِي اللبوثَ إِذَا سَطَا
وَنَدَى يُغْرِقُ كُلَّ بَحْرٍ مُرِّدٍ
يَحْتَلُّ بَيْنَنَا فِي ذُوَابَةِ هَاشِمٍ
طَالَتْ دَعَائِمُهُ حَمَلُ الفَرَقْدِ
حُرٌّ يَرُوحُ المُسْتَمِيحُ وَيَغْتَدِي
بمواهبٍ مِنْهُ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي
فَإِذَا تَخَيَّفَ مَالَهُ وَعَطَاؤُهُ
فِي يَوْمِهِ بِهَكَ البَقِيَّةِ فِي غَدِ
بِضِيَاءِ سُنَّتِهِ المَكَارِمِ تَهْتَدِي
وبجودِ راحته السحائبُ تَهْتَدِي
مَقْدَارُ مَا بَيْنِي وَمَا بَيْنَ الغنى
مَقْدَارُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ المِرْبَدِ

(١) معجم الأدباء ج ١٧ / ٢٠٢ .

ولم يصل إلينا من أخبار المُفَجَّع ما يفيد تعرضه للصحابة كما فعل غيره من شعراء الشيعة . والظاهر أنه لم يكن غالبا في التشيع ولا مُحَمِّقا . وقد ضاع شعره حتى لا نكاد نعرف منه شيئا سوى ما تقدم .
وفاته : وكانت وفاة المفجع البصرى فى سنة ٣٢٧ هـ

(٨) الشريف الرضى

هو أبو الحسن بن الطاهر أبى احمد الحسين ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب .

مولده : ولد الشريف الرضى عام ٣٦١ هـ وعاش خمسة واربعين عاما أدرك فى خلالها ثلاثة خلفاء من بنى العباس هم المطيع لله والطائع لله والقادر بالله وفى أيام هذا الخليفة توفى شاعرنا .

عصره : كان عصر الشريف الرضى عصر فتن واضطرابات ومعارك كثيرة تقع بين الأتراك والديلم فى بغداد كان يترتب عليها أن تسفك دماء ، وتجرب أحياء أهلة بالسكان ، ويتعرض الناس للهلاك ، وتنتشر اللصوصية ، وتصبح المحال التجارية عرضة للنهب والسلب ، والدور للحرق والتدمير ولم يكن للخليفة العباسى أى نفوذ خارج قصره . وقد أصبح الحكام الحقيقيون للعراق من آل بويه .

ثقافته وتهذيبه : بدأ الشريف الرضى ثقافته بأن قرأ القرآن على أبى اسحاق ابراهيم الطبرى وهو حدث . ثم أعاد حفظه بعد أن تخطى هذه السن . وكانت أمه تعنى بشؤون أبنائها عناية فائقة . وتهتم بتنقيفهم وتهذيبهم منذ حداثهم فقد روى ابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة أنها

دخلت يوماً المسجد إلى أبي عبد الله محمد بن النعمان الفقيه الإمامي وحوّلها جواربها وبين يديها ابناها الرضى والمرضى فقام إليها وسلم فقالت : أيها الشيخ هذا ولد اى قد أحضرتهما إليك لتعلمهما الفقه فتولى تعليمهما ، وذكر ابن جنى أن الشريف الرضى أحضر إلى ابن السيرافى النحوى المشهور فتلقي عنه علم النحو .

تصرفه وعمله : ولى الشريف الرضى نقابة الطالبين وهى رياسة آل البيت العلوى والحكم فيهم أجمعين مستقلين عن طبقات الأمة الاسلاميه . كان نقيباً فى بغداد أولاً ثم جعله بنو بويه نقيباً للطالبين فى بلاد فارس بأجمعها . وكان يضم إلى ذلك العمل النظر فى المظالم والحج بالناس . وهذه الأعمال كان يتولاها والده الطاهر ثم تنازل عنها لابنه الرضى ، لأن هذا كان يبنى نفسه بالخلافة ، وكان يفكر كثيراً فى سبيل تحقيق هذه الأمنية فخشى والده عليه شر العباسيين وبطشهم ، فأسند إليه هذه الأعمال ليشغلها بها عن التفكير فى موضوع الخلافة ، وليسكن خاطره الثائر ويخفف من حدته وغليانه . قال فى ذلك :

وَلِيَّ النِّقَابَةِ خَالُ أُمِّي قَبْلُ ثُمَّ أَبِي وَجَدِّي
وَوَلِيَّتْهَا طِفْلاً فَهَلْ بَجْدٌ يُعَدُّ مِثْلُ بَجْدِي

ولكنه برم بها فردها إلى والده الذى توفى عام ٤٠٠ هـ فاضطر صاحبنا إلى القيام بأعبائها وبقي كذلك حتى مات فى سنة ٤٠٦ هـ فتولاها من بعده أخوه المرتضى

وقد اتخذ الشريف المرتضى فى حياته داراً أسماها دار العلم ، وكان يجتمع بهذه الدار طلبة العلم الملازمون له .

وقد وضع كثيراً من الكتب والرسائل كما أنه بذل مجهوداً كبيراً في جمع ما حواه كتاب « نهج البلاغة »

مذهبه: كان الشريف الرضى يدين بمذهب الإمامية الاثنا عشرية الذين يرون أن الخلافة في أبناء الحسين .

آماله وأمانيه: كان الشريف الرضى يمني نفسه بمنصب الخلافة ، فلم تهدأ له نفس ، ولم يسكن له خاطر ، ولم تصف له الحياة قط بل كان في تفكير متواصل ، وهم وقلق وحزن شديد ، تارة يرى الأمل أمامه مقبلاً وتارة يرى ظلمات اليأس مخيمة في سماء تفكيره .

وبما شجع الشريف الرضى على الاسترسال في آماله مارآه من ضعف الخلافة العباسية ضعفاً تاماً ، وما شاهده من انحلالها وذهاب نفوذها وسلطانها . وبما شجعه كذلك أن آل بويه كانوا من غلاة الشيعة الذين يدينون بالولاء لآل علي . ويذكر المؤرخون أن الملوك البويهيين كانوا يحرضون النساء على الخروج وعمل المناحات والبكاء والعويل في شوارع بغداد وطرقاتها في مثل اليوم الذي قتل فيه الحسين من كل عام وكان الشريف الرضى يرى ذلك بعيني رأسه فيقوى أمله ويزداد تعلقه بالخلافة وجلالها . وكان له أنصار كثيرون منهم أبو إسحاق الصابي الذي كان يزعم أن طالع صاحبنا يدل على أنه سيرقى حتماً إلى هذا المنصب الرفيع . وكانت تدور بينهما قصائد بهذا المعنى ، فمن ذلك قول إسحاق الصابي وقد بعث بها إلى الشريف الرضى :

أبا حَسَنِ لِي فِي الرَّجَالِ فِرَاسَةٌ تَعَوَّدْتُ مِنْهَا أَنْ تَقُولَ قَتْصُدُقَا
وَقَدْ نَحَبَرْتَنِي عَنْكَ أَنْكَ مَا جَدُّ سَتَرْتَنِي مِنَ الْعِلْيَاءِ أَبْعَدُ مُرْتَقَى
فَوْفَيْتِكَ، التَّعْظِيمَ قَبْلَ أَوَانِهِ وَقُلْتُ أَطَالَ اللَّهُ لِلْسَّيِّدِ الْبَقَا
وَأَضْمَرْتُ مِنْهُ لَفْظَةً لَمْ أُبْحَ بِهَا إِلَى أَنْ أَرَى إِطْلَاقَهَا لِي مُطْلَقَا
فَإِنْ عَشِيتُ أَوْ إِنْ مِتُّ فَاذْكَرْ بِشَارَتِي وَأَوْجِبْ بِهَا حَقًّا عَلَيْكَ مُحَقَّقَا
وَكَنْتُ لِي فِي الْأَوْلَادِ وَالْأَهْلِ حَافِظًا إِذَا مَا أَطْمَأَنَّ الْجَنْبُ فِي مَوْضِعِ الْبَقَا
فَأَجَابَهُ الشَّرِيفُ الرُّضَى بِقَوْلِهِ :

سَنَنْتَ لِهَذَا الرُّوحِ غَرْبًا مُذَلَّقَا وَأَجْرَيْتَنِي فِي ذَا الْهُنْدُؤَانِي رَوْنَقَا
وَسَوَّمْتَنِي ذَا الطَّرْفِ الْجَوَادِ وَإِنَّمَا شَرَعْتَنِي لَهُ نَهْجًا فَخَبًّا وَأَعْتَقَا
لَنْ بَرِّقَتْ مِنِّي نَحَايِلُ عَارِضٍ لِعَيْنِكَ يَقْضِي أَنْ يَجُودَ وَيَغْدَقَا
فَلَيْسَ بِسَاقٍ قَبْلَ رَبِيعِكَ مَرْبَعَا وَلَيْسَ بِرَاقٍ قَبْلَ جُودِكَ مُرْتَقَى

ثم إن ملوك آل بويه كانوا يمينونه بها ويعدون به بقرب صيرورتها إليه
فلا عجب أن سيطر عليه حلم الخلافة ، وملك عليه مشاعره وأصبح
شبهها مائلا أمامه في القومة والقعدة ، والنام واليقظة ، وفي كل مكان
يذهب إليه قال :

أرى نفسي تتوق إلى النجوم سأحملها على الخطر العظيم
ولي أمل كصدور الرمح ماض سوى أن الليالي من خصومي
ومالي همة إلا المعالي وذب الضيم عن نسب صميم

•••

لماذا فشل؟؟ : كان الشريف الرضى ينتظر من البويهيين أن يساعده في الوصول إلى منصب الخلافة ، ولكن هؤلاء كانوا ينظرون إلى مصالحهم الشخصية . ومصالحهم كانت تقضى بوجود خلافة اسمية لا حول لها ولا قوة ولا جاء ولا سلطان . وهذا كان متوفرا في خلافة بني العباس الذين كانوا يُؤَلَّونَ بأمر البويهيين ولم يكن لهم من مظاهر الحكم غير ذكر أسمائهم في الخطبة . وكان آل بويه يخشون قيام خلافة عربية قوية تقضى على حكمهم قضاء مبرما وتعيد مجد الامبراطورية الإسلامية كما كان أولا ، لذلك لم يجد صاحبنا منهم عونا ، وقضى حياته يضاجع الأحلام

يأسه وحزنه : لما رأى الشريف الرضى هذا الفشل العظيم الذى لحقه وأدرك أن أمنيته لا تتحقق أخذ منه اليأس كل ما أخذ فطلق يبكى وينوح ويندب آماله الضائعة ، قال :

وعدت يادهرُ شيئاً بتُّ أرقبه وما أرى منك إلا وعدَّ عُرُقوب
وحاجةً أتقاضاها وتمطلنى كأنَّها حاجةٌ فى نفس يعقوب
لأتعبنَّ على اليبداءِ راحلةً والليلُ بالريح خفاقُ الجلابيب

لقد أخذ اليأس يسرى فى الرجل ، وشاعت روح الكآبة والحزن

فى شعره قال :

ما مقامى على الهوانِ وعندى مقولٌ صارمٌ وأنفٌ حمى
وإبائه مَحَلَّقٌ بى عن الضيمِ كما راعَ طائرٌ وحشى
أى عذرٍ له إلى المجدِ إن ذلَّ فى غمِّه المشرقى
أحملُ الضيمَ فى بلادِ الأعادى وبمصرَ الخليفة العلوئى

من أبوه أبي ومولاه مولا يَ إِذَا ضَامَنِي الْبَعِيدُ الْقَصِيُّ
لَفَّ عِرْقِي بِعِرْقِهِ سَيِّدُ النَّاسِ سِ جَمِيعًا مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ
إِنْ ذُلِّيَ بِذَلِكَ الْجَوُّ عَزُّ وَأَوْامِي بِذَلِكَ النَّقْعُ رِيٌّ
قَدْ يَذُكُّ الْعَزِيزُ مَا لَمْ يُشَمَّرْ لَا نِطْلَاقِي وَقَدْ يُضَامُ الْأَيْتِيُّ
إِنَّ شَرًّا عَلَى إِسْرَاعِ عَزْمِي فِي طَلَابِ الْعُلَا وَحِطِّي بَطِيٌّ
أَرْتَضِي بِالْأَذَى وَلَمْ يَقِفِ الْعَزُّ مُ قُصُورًا وَلَمْ تَعَزَّ الْمَطِيُّ
كَالَّذِي يَخْطِطُ الظَّلَامَ وَقَدْ أَقَا مَرَّ مِنْ خَلْفِهِ النَّهَارُ الْمُضِيُّ

قيل إن هذه الأبيات وصلت إلى يد الخليفة القادر بالله فعضب غضباً شديداً ، وعقد مجلساً وأحضر فيه أبا الطاهر الموسوي والد الشريف الرضي وابنه المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء ، وأبرز لهم أبيات الشريف السالفة الذكر . وتقدم حاجب الخليفة وقال للنقيب أني أحمد (والد الرضي) قل لولدك : محمد (الشريف الرضي) أي هو أن قد أقام عليه عندنا ؟؟ وأي ذل أصابه في ملكنا ؟؟ وما الذي يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه ؟؟ أكان يصنع معه أكثر من صنعنا ؟؟ ألم نوله النقابة ؟؟ ألم نوله المظالم ؟؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أمير الحج ؟؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا ؟؟ ما نظنه كان يكون — لو حصل عنده — إلا واحداً من أقتاء الطالبين ؟؟ فقال له النقيب أبو أحمد ، أما هذا الشعر فما لم نسمعه ولا رأيناه بخطه ، ولا يعد أن يكون بعض أعدائه نحلة إياه وعزاه له ، فقال القادر ، إن كان كذلك فليكتب الآن محضر بذلك يتشهد فيه جميع من حضر المجلس منهم النقيب

أبو أحمد (والد الشريف) وابنه المرتضى ، وكان هذا المحضر بمثابة إقرار يتضمن قدحاً في نسب العلويين حكام مصر في ذلك الحين . وحمل إلى الرضى ليوقعه ، حمّله إليه أبوه ، فامتنع ولكنه أنكر الشعر واعترف كتابة بأنه ليس بشعره ولا يعرفه .

شاعريته : امتاز الشريف الرضى بشاعرية قوية جداً تتدفق تدفق المحيط . فإذا انطلق لسانه بالثناء أتى بالقصائد الطويلة التي تزيد على المائة بيت ومعظمها مما يسيل العبرات ، وإذا مدح أطال وأتى بما يرقص بمدوحه وإذا افتخر أبدع وأجاد ، وأتى في أبيات معدودة بما لا يتيسر لغيره أن يأتي به في قصيدة طويلة .

* * *

التشيع في شعره : ذكر الشريف الرضى كثيراً من مناقب علي وآل بيته في قصائد كثيرة ودافع عن حق العلويين في الحكم . ورثي الحسين بجملة قصائد رائعة إلى أبعد حدود الروعة . ومن تلك القصائد قوله :

هذى المنازلُ بالنعيمِ فنادها	واسكُبْ سَخِيَّ العَيْنِ بعد جمادها
إن كان دينٌ للعالم فاقضه	أو مهجة عند الطلول ففادها
يا هَلْ تَبُلُّ من الغليلِ إليهمُ	إشراقَةٌ للرَّكَبِ فوقَ نجادها
نُؤَى كُنْعَطِفِ الحَنِيَّةِ دُنَه	سُحْمُ الخُدودِ لَهْنِ إرثُ رَمادها .
ومَنَاطُ أَطنابٍ ومَقْعَدُ قِسيَةٍ	تَحْبُو زناد الحى غيرَ زنادها
ومَجْرُ أَرسانِ الجيادِ لِغَلِيَةٍ	سَجَفُوا البُيُوتَ بِشَقْرِها وَوَرادها

ولقد حَبَسْتُ على الدِّيارِ عصابةً
 حَسْرَى يُجَاوِبُ بالبُكاءِ عيونُها
 وَقَفُّوا بها حتى كانَ مَطِيئَهُم
 ثم انثنتُ والدَّمْعُ ماءَ مَرادِها
 من كلِّ مُشْتَمِلٍ حَمائلَ رنةٍ
 حيثُكَ بلِ حَيْثُ طُلُوكِ دَيْمَةٍ
 وعدتُ عَلَيْكَ مِنَ الخَمَائِلِ يَمَنَةً
 هل تَطْلُبُونَ مِنَ النِّواظِرِ بَعْدَكم
 لم يَبْقَ ذَخْرٌ لِلدِّفاعِ عَنْكُمْ
 شَغَلَ الدَّمُوعَ عَنِ الدِّيارِ بُكاؤُنا
 لم يَخْلِفُوها فِي الشَّهِيدِ وَقَدِ رَأَى
 أَتْرَى دَرَّتْ أَنْ الحُسَيْنَ طَرِيدَةً
 كانتُ ما أَمْتُ بِالعِراقِ تَعُدُّها
 ما رَأَيْتُ غَضَبَ النِّبِيِّ وَقَدِ غَدَا
 باعَتْ بِصائِرُ دِينِها بِضالِها
 جعلتُ رَسولَ اللهِ مِنَ خِصامِها
 نَسَلُ النِّبِيِّ عَلى صِحابِ مَطِيئِها
 وَاللَّهْفَتاهُ لِعُصْبَةِ عَلَوِيَّةِ

مضمومة الأيدي إلى أكبادِها
 وتَعَطُّ^(١) بِالزَّفَرَاتِ فِي^(٢) أَرادِها
 كانتُ قوايمُهُنَّ من أوتادِها
 ولواعجُ الأشجانِ من أزوادِها
 قطرُ المدامِجِ من حُلِيِّ بِجادِها
 يَشْفِي سَقِيمَ الرَّبِيعِ نَفْسُ عِهادِها
 تَسْتامُ ناقِظَةً عَلى رُؤادِها
 شَيْئاً سِوَى عَبرائِها وَسُهادِها
 كَلَّا ولا عَيْنٌ جَري لِرُقادِها
 لُبْكاءِ فَاطِمَةَ عَلى أَوْلادِها
 دَمَعُ الفِراتِ يُزادُ عَنِ أَوْلادِها
 لَقِنا بَنِي الطَّرِداءِ عَندَ وِلادِها
 أَمَويَّةٌ بِالشَّامِ مِنَ أَعْيادِها
 زَرَعُ النِّبِيِّ مَظَنَّةً لِحِصادِها
 وَشَرْتُ مَعاطِبَ غَيبِها بِرِشادِها
 فَلَبِثتُ ما ذَخَرْتُ لِيومِ مَعادِها
 وَدَمُ النِّبِيِّ عَلى رُؤوسِ صِعادِها
 تَبِعَتْ أُمَيَّةَ بَعْدَ عِزِّ قِيادِها

(١) تشق . (٢) جمع برد .

جعلت عُرانَ الذَّلِّ في آنايها
 زَعَمْتُ بِأَنَّ الدِّينَ سَوَّغَ قَتْلَهَا
 طلبت تراثَ الجاهليةِ عندها
 واستأثرتُ بالأمرِ عن غيَّابِها
 اللهُ سائِبُكُمْ إلى أرواحِها
 إن قُوِّضَتْ تلكَ القِبابُ فإنَّما
 إن الخلافةَ أصبحتُ مزوَّيةً
 طَمِسَتْ منابرُها علوجُ أُمَّيَّةِ
 هي صفوةُ اللهِ التي أُوحي بها
 أخذتُ بأطرافِ الفَخَّارِ فعاذِرُ
 الزُّهدِ والأحلامُ في قُتْناكِها
 عَصَبُ يُقَمِّطُ بالنَّجادِ وليدُها
 تَرَوِي مناقِبَ فضلِها أعداؤها
 يا غيرةَ اللهِ اغْضَبِي لِنَبِيِّهِ
 من عُصْبَةٍ ضَاعَتْ دماءُ مُحَمَّدٍ
 صَفَدَاتِ مالِ اللهِ ملءُ أَكْفِها
 ضَرَبُوا بِسِيفِ مُحَمَّدٍ أبناءَهُ
 قِفْ بِي وَلَوْ لَوْتُ الأزارِ فإنَّما
 بالظَّفِّ حيثُ غَدَّ امرأقُ دمايها
 وعُلاطَ وَسَمِ الضَّمِّ في أجيادِها
 أوليسَ هذا الدِّينُ عن أَجدادِها
 وشَفَّتْ قديمَ الغِلِّ من أَحقادِها
 وقَضَتْ بما شاءت على شهادِها
 وكسبتمُ الآثامَ في أجسادِها
 خَرَّتْ عمادُ الدِّينِ قبلَ عمادِها
 عن شَعْبِها بِيَياضِها وسوادِها
 تنزُّو ذنابِهم على أعوادِها
 وقَضَى أوامِرَهُ إلى أَعْجادِها
 أن يُصْبِحَ الثَّقَلانِ من حُسادِها
 والْفَتْكَ لولا اللهُ في زُهادِها
 ومهودُ صِبْيَتِها ظهورُ جِيادِها
 أبداً وتَسْنِدُهُ إلى أَضدادِها
 وتَزَحَّزِحِي بالبيضِ عن أَعْعادِها
 وبَيْنِهِ بينَ يَزِيدِها وزِيادِها
 وأَكْفُ آلِ اللهِ في أَصْفادِها
 ضربَ الغرائبِ عُدُنَ بعدِ ذِيادِها
 هي مُهْجَةٌ عَلَقَ الجوى بِفؤادِها
 ومناخُ أُنُقِها لِيَوْمِ جِلادِها

القفر من أرواقها والطيْرُ من
 تجرّي لها حَبُّ الدُّمُوعِ وَإِنَّمَا
 يَا يَوْمَ عَاشُورَاءَ كَمْ لَكَ لَوْعَةٌ
 مَا عُدْتَ إِلَّا عَادَ قَلْبِي غُلَّةً
 يَا جَدُّ لَا زَالَتْ كِتَابُ حَسْرَةٍ
 أَبَدًا عَلَيْكَ وَأَدْمَعُ مَسْفُوحَةٌ
 هَذَا التَّنَاءُ وَمَا بَلَغْتُ وَإِنَّمَا
 أَقُولُ جَادَ كَمْ الرِّبِيعُ وَأَنْتُمْ
 أَمْ أَسْتَرِيدُ لَكُمْ عَلَاً بِمَنَائِحِي
 كَيْفَ التَّنَاءُ عَلَى النُّجُومِ إِذَا سَمَتْ
 أَعْنَى طُلُوعِ الشَّمْسِ عَنْ أَوْصَافِهَا
 طَرَّاقِهَا وَالْوَحْشُ مِنْ عُوَادِهَا
 حَبُّ الْقُلُوبِ يَكُنْ مِنْ أَمْدَادِهَا
 تَتَرَقَّصُ الْأَحْشَاءُ مِنْ إِيقَادِهَا
 حَرَّى وَلَوْ بَالَغْتُ فِي إِبْرَادِهَا
 تَغَشَى الضَّمِيرَ بِكُرِّهَا وَطِرَادِهَا
 إِنْ لَمْ يَرَاوِحْهَا الْبُكَاءُ يُغَادِهَا
 هِيَ حَلْبَةٌ خَلَعُوا عَلَيْكَ جَوَادِهَا
 فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ رَيْسُ بِلَادِهَا
 أَيْنَ الْجِبَالُ مِنَ الرَّبِّيِّ وَوَهَادِهَا
 فَوْقَ الْعُيُونِ إِلَى مَدَى أَبْعَادِهَا
 بِحَلَالِهَا وَضِيَائِهَا وَبِعَادِهَا

وفاته : كان للحقيقة المرة التي اصطدم بها التريف الرضى ولحيته
 وفشله فيما كان يسعى إليه أثر سيء في نفسه وفي صحته ، فأخذ جسمه يذبل
 شيئاً فشيئاً ، وشرعت قواه في التدهور والانحلال يوماً بعد يوم .
 وسرعان ما اختطفته يد المنون وهو في شرح الصبا . لقد مات حزينا
 ساخطاً دهره ، ناقماً على الدنيا وما فيها ومن فيها . أدركته المنية في يوم
 الأحد سادس المحرم سنة ٤٠٦ هـ ببغداد فجزع أخوه المرتضى جزعاً شديداً
 حتى أنه لم يشترك في الصلاة عليه ولم يستطع حضور دفنه . وصلى عليه

أوزير فخر الملك وكثير من العضاء والنبلاء ودفن بداره بالكرخ ثم
نقل إلى مشهد الحسين بكر بلا حيث دفن بجوار قبر أبيه . وقد رثاه
أخو المرتضى بقوله :

يا للرجالِ لَفَجِعةٍ جَذَمْتَ يَدِي وَوَدِدْتُ لو ذَهَبْتُ عَلى براسِي .
ما زِلْتُ أَصدُرُ ورَدَها حَتى أَتَتْ فحَسَوُها في بَعض ما أَنا حاسِي
ومَطَلتَها زَمناً فَلما صَمَمْتَ لم يُثَنِّها مَطَلِي وَطُولُ مِكاسِي
لِئِلى عُمُرِكَ من قَصرِ طاهِرٍ ولرُبِّ عُمُرِ طالَ بالأرْجاسِ

ورثاه تليذه مهيار الديلمي بأكثر من قصيدة ومن ذلك قوله :

بكر النعيُّ فقال : أَردى خَيرُها إن كان يَصُدُقُ فالرَضى هو الرَدى
عادت أراكة هاشمٍ من بَعْدِهِ خَوراً لِفأسِ الحاطِبِ المَوقِدِ
فَجِعتُ بِمُعْجِزِ آيةِ مَشهُودَةٍ ولرُبِّ آياتِ لها لم تُشْهِدِ
كانت إذا هى فى الإمامة نوزِعتُ ثم ادَّعتُ بِكَ حَقَّها لم تُجْحَدِ
تَبِعْتَكَ عاقِدَةً عَلىكَ أَمورَها وعُرَى تَمِيمِكَ بَعْدُ لَمَّا تُعْقَدِ
ورآكَ طِفلاً شَيبُها وكهولَها فَزَحْزَحُوا لَكَ عَن مَكانِ السَّيِّدِ
أَتَقَمْتَ عَمَرَكَ ضائِعاً فى حِفْظِها وَعَقَقْتَ عَيشَكَ فى صَلاحِ المُفْسِدِ
كالنارِ للسارى الهدايةُ والقِرى من ضَوِّها ودُخانِها المَوقِدِ

(٩) مهيار الديلمي

هو أبو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور . قال ابن خلكان « كان مجوسيا فأسلم ، ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضي أبي الحسين محمد الموسوي وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر ،

علاقته بالشريف الرضي : كان مهيار يحضر دروس العلم التي كان يعقدها الشريف الرضي لكثير من الشبان فتيسر له أن يلم بقسط وافر من الأدب نظمه ونثره . وقد نشأت بين الأستاذ وتلميذه علاقة ود أخذت تقوى يوما بعد يوم ، حتى أن مهيار كان يعلق كثيرا من الآمال على أستاذه . ولما مات الشريف الرضي رثاه مهيار طويلا .

إسلامه وتشيعه : وكان من أثر العلاقات القوية بين الشريف الرضي ومهيار أن استطاع الأستاذ أن يجلب إلى تلميذه الدين الإسلامي ، فكان إسلام مهيار على يد أستاذه .

أما تشيعه فقد بدا منه قبل أن يتخذ الإسلام ديناً . وقد مدح الطالبين ورثى عليا والحسين حينما كان على دين المجوسية ، فمن ذلك قوله

نَقَضْتُمْ عُهُودَهُ فِي أَهْلِهِ وَحُلْتُمْ عَنْ سَنَنِ الْمُرَاسِمِ
وَقَدْ شَهِدْتُمْ مَقْتَلَ ابْنِ عَمِّهِ خَيْرِ مُصَلٍّ بَعْدَهُ وَصَائِمِ
وَمَا اسْتَحَلَّ بَاغِيَا أَمَامَكُمْ يَزِيدُ بِالطَّفِّ مِنْ ابْنِ فَاطِمِ
ولما أسلم غلا في تشيعه غلوا كبيرا وأفرط في سب الخلفاء الأول

إفراطاً ألحقه بالسيد الحميرى وقد وصل إلينا شعر مهيار كاملاً فرأينا
ما جرى على لسانه من طعن ولعن . ومن ذلك قوله :

هذى قضايا رسول الله مهملةً غدراً وشملُ رسولِ الله منصدعُ
والناسُ للعهدِ مالاقوا وماقربوا وللخيانةِ ماغابوا وما شسعوا
وآله وهم آلُ الإلهِ وهم رعاةُ ذا الدينِ ضيموا بعده ورعوا
ميثاقه فيهم ملقى وأُمَّته مع من بغاهم وعاداهم له شيعُ
تضاع بيعته يوم الغدير لهم بعد الرضا وتحات الرؤم والبيعُ
مقسمين بأيمانٍ هم جاذبوا يوعها وبأسيافٍ هم طبعوا
ماينَ ناشرِ جبلِ أمس أبرمه تعد مسنونه من بعده البدعُ
وبين مقتنصٍ بالمكرِ يخذعه عن آجلٍ عاجلٍ حلوٍ فينخدعُ
وقائل لى على كان واره بالنص منه فهل أعطوه أم منعوا
ققلت كانت هنات لست أذكرها يحزى بها الله أقواماً بما صنعوا
أبلغ رجالاً إذا سميتهم عرفوا لهم وجوه من الشحاء تمتقعُ
توافقوا وقناة الدين مائلة حين قامت تلاحوا فيه واقترعوا
أطاع أولهم في الغدر تانيم وجاء ثالثهم يقفوا ويتبعُ
قفوا على نظرٍ في الحق نفرضه والعقلُ يفضلُ والمحجوجُ ينقطعُ
بأى حكم بنوه يتبعونكم وغرركم أنكم صحب له تبعُ
وكيف ضاقت على الأهلين قرنته وللأجانب من جنبيه مضطجعُ
وفيم صيرتكم الإجماع حجتكم والناس ما اتفقوا طوعا ولا اجتمعا

أمرُ عليٍّ بعيدٌ من مشورتهِ مستكرةٌ فيه والعباسُ يمتنع
وتدعيه قريشٌ بالقرابةِ وال أنصارُ لا رُفِعَ فيه ولا وُضِعَ
فأى خُلْفٍ كخُلْفٍ كان بينكم لولا تُلَفَّقُ أخبارُ وتُصَنِّعُ
ومنها :

إنكارُهم يا أمير المؤمنين لها بعد اعترافهمُ عارٌ به ادرعوا
ونكثهم بك مَيْلاً عن وصيتهم شرعٌ لعمرِكَ ثانٍ بعده شرعوا
تركت أمرا ولو طالبتهُ لدرت معاطسُ راغمته كيف تجتدعُ
ليُشرِقَنَّ بحالو اليوم مرٌ غدٍ إذا حصدت لهم في الخسر ما زرعوا
فهيار في هذه القصيدة قد تعصب لعلي وذهب إلى أبعد حدود
التعصب فطعن في الإجماع وأنكر صحته . وذكر أن النبي عهد إلى علي
بالأمر يوم غدير خم وقد مر بنا ذكر ذلك وأن الصحابة غدروا وعضوا
الرسول واغتصبوا حق علي فأطاع أبو بكر في الغدر عمر ، ثم جاء عثمان
يمشي على آثارهم . وهؤلاء كما يقول مهيار سيحملون وزرهم يوم القيامة
وسيحاسبون علي ما أتوا حسابا عسيرا . قيل له : يا مهيار ، اتقلت
بإسلامك في النار من زاوية إلى زاوية ، قال : وكيف ذلك ؟ قيل : لأنك
كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسب الصحابة .

وقدرت مهيار الحسين بجملة قصائد ومدح عليا وسرد كثيرا من
مناقبه في شعر بديع ، ودافع عن حقوقه في الخلافة دفاعا حارا مؤثرا
ومثال ذلك قوله في مدح آل البيت .

لئن نامَ دهرى دون المني ولم أكُ أحمدَ أفعاله
وأصبحَ عن نيلها مُقعدى بخيرِ الورى وبني خيرهم
فلى أسوةُ بنى أحمدٍ وأكرم حى على الأرض قام
إذا ولدُ الخير لم يولدِ وبيت تقاصر عنه البيوت
وميت توسد فى ملحدِ تحوم الملائك من حوله
وطال عليا على الفرقدِ ألا سل قريشا ولم منهم
ويصبح للوحى دار الندى وقل : مالكم بعد طول الضلّـا
من استوجب اللوم أو فندٍ أتاكم على فترةٍ فاستقام
لِ لم تشكروا نعمة المرشدِ وولّى حميدا إلى ربّه
بكم جائرين عن المقصدِ وقد جعل الأمر من بعده
ومن سنّ ماسنّه يُحمدِ وسماه مولى بإقرارٍ من
لجيدر بالخبر المسندِ فليتم بها حسدَ الفضلِ عنه
لو اتبع الحقّ لم يجحدِ وقلتم بذاك قضى الاجتماعُ
ومن يك خير الورى يُحسدِ يعزُّ على هاشمٍ والنبيّ
ألا إنّما الحقّ للفرديّ وإرثُ . علىّ لأولاده
تلاعبُ تيمٍ بها أوعدى فمن قاعدٍ منهم خائفٍ
إذا آيةُ الإرثِ لم تُفسدِ ق تسلطُ بغيا أكفُ النَّفا
ومن تأثرٍ قام لم يُسعدِ ق منهم على سيّدٍ سيّدٍ

وما صُرِفُوا عَنِ مَقَامِ الصَّلَاةِ ولا عَنَفُوا فِي بَنِي ^(١) الْمَسْجِدِ
أَبُوهُمْ وَأُمَّهُمْ مِنْ عِلْبِ — تَ فَانْقَصُ مَفَاخِرَهُمْ أَوْزِدِ
أَرَى مِنْ بَعْدِ يَوْمِ الْحُسَيْنِ عِلْبًا لَهُ الْمَوْتُ بِالْمَرْصَدِ
وَمَا الشَّرْكَ لَهِ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا أَنْتِ قِيسَتْ بِمُسْتَبَعِدِ
وَمَا آلُ حَرْبٍ جَنَوْا إِلَّا نَمًا أَعَادُوا الضَّلَالَ عَلَى مِنْ بَدَى
سَيَعْلَمُ مِنْ فَاطِمَةَ خَصْمُهُ بِأَيِّ نِكَالٍ غَدَا يَرْتَدَى
وَمَنْ سَاءَ أَحْمَدَ يَسْبُطُهُ فَبَاءَ بِقَتْلِكَ مَاذَا يَدَى ؟
فِدَاؤُكَ نَفْسِي وَمَنْ لِي بَدَا كَ لَوْ أَنَّ مَوْلَى بَعْدِي فُدَى
أَنَا الْعَبْدُ وَالْأَكْمُ عَقْدُهُ إِذَا الْقَلْبُ بِالْقَلْبِ لَمْ يُعْقَدِ
وَفِيكُمْ وِدَادِي وَدِينِي مَعًا وَإِنْ كَانَ فِي فَارِسٍ مَوْلِدِي
خَصِمْتُ ضَلَالِي بِكُمْ فَاهْتَدَيْتُ وَلَوْلَاكُمْ لَمْ أَكُنْ أَهْتَدِي

وهكذا ترى أن مهيار يضمن كل ماقاله في آل البيت كثيراً من المطاعن والشتائم في بعض الصحابة ولن تجد له قصيدة واحدة مما نظمها في هذا الباب خلت من هجوم عنيف على الشيخين .

وفاته: توفي مهيار في سنة ٤٢٨ هـ

(١٠) ابن هانيء الأندلسي

هو محمد بن هانيء بن محمد بن سعدون الأندلسي . يكنى أبا القاسم أو أبا الحسن . وقيل له ابن هانيء الأندلسي تمييزا له عن ابن هانيء الحكمي الشهير بأبي نواس .

مولده : ولد بأشبيلية في سنة ٣٢٠ هـ

شاعريته : قال ابن خلكان : « هو أشعر شعراء المغرب على الإطلاق من المتقدمين والمتأخرين ولأجل ذلك يقال له متنبئ المغرب »

وقال الفتح بن خاقان : « هو علق خطير ، وروض أدب مطير ، غاص في طلب الغريب حتى أخرج دره المكنون ، وبهرج بافتنانه فيه كل الفنون . وله نظم تمنى الثريا أن تتوج به وتقلد ، ويود البدر أن يكتب فيه ما اخترع وولد . »

تشييعه : رحل ابن هانيء من الأندلس إلى شمال إفريقيا ومدح المعز وأصبح من خواصه المرابين إليه . وقد ارتفعت مكانته في عين الخليفة الفاطمي وعلت منزلته فأجله واحترمه ومنحه جزيل العطاء ويعتبر شعر ابن هانيء سجلا لمعتقدات الفاطميين وآرائهم ومذاهبهم ومثال ذلك قوله :

أنت الوري فاعمر حياة الوري باسم من الدعوة مشتق
فالشيعه يعتقدون أن الإمام يقوم مقام النبي في دعوة الناس إلى الحق . والذي يقبل الدعوة يسمى المستجيب .

وقوله :

سَقَيْتَ فَلَا لُبَّ اللَّيْبِ مُعْطَشٌ لَدَيْكَ وَلَا كَافُورَةَ الْعَهْدِ تَسْنَخُ
والمستجيب لا يدخل في الدعوة إلا إذا أخذ عليه العهد والميثاق .

وقوله :

قد كان يُنذِرُ بالوعيدِ لِطُولِ مَا أَصَغَى إِلَيْكَ وَيَعْلَمُ التَّأْوِيلَ
فالشيعه يعتقدون بأن آيات القرآن تحتوى على معانى خفية لا يدرك
كنهاها إلا الإمام الذى تلقى عليها عن سبقه من الأئمة . وقد كرر ابن
هانى هذا الاعتقاد فى موضع آخر فقال .

أَهْلُ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ وَالْهَدَى فِي السَّيِّئَاتِ وَسَادَةُ أَطْهَارِ
وَالْوَحْيِ وَالتَّأْوِيلِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ لَا خُلْفٌ وَلَا إِنْكَارُ
وقال :

مَاذَا تُرِيدُ مِنَ الْكِتَابِ نَوَاصِبٌ وَلَهُ ظُهُورٌ دُونَهَا وَبُطُونٌ
فالشيعه يرون أن لكل ظاهر باطنا خفى عن الناس لأن عقولهم
لا تستطيع إدراك علم الباطن الذى هو سر الله المصون الذى يجب
أن يظل مكتوما عن لا يستحقه . قال .

إِذَا كَانَتِ الْأَلْبَابُ يَقْصُرُ شَأُوهَا فَظَلَمَ لِسِرِّ اللَّهِ إِنْ لَمْ يُكْتَمِ
وَالشَّيْعَةُ يَعْتَقِدُونَ بِالْوَصِيِّ الَّذِي وَصَّاهُ النَّبِيُّ بِالْقِيَامِ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ
وفى ذلك يقول ابن هانى .

تَوْمٌ وَصِيَّ الْأَوْصِيَاءِ وَدُونِهِ صُدُورُ الْقَنَا وَالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَاتِكِ
ووجود الإمام ضرورى فى نظر الشيعة من ثلاثة أوجه أولها أن

الله لما أرسل رسوله إلى الناس ليهديهم إلى صراطه المستقيم ، لزم أن يكون في كل زمان من يقوم بوظيفة النبي من هداية الخلق ونشر الأمن والعدل . وثانيها أن لغات الناس متفرقة فلا يفهم بعضهم لغة البعض ، فوجود الإمام ضروري ليفهم الناس شؤون دينهم كلُّ بلسانه ولغته . وثالثها أن الله كما خلق الجبال وجعلها أوتادا تمسك الأرض أن تميد بمن عليها ، كذلك جعل الأئمة أوتادا للدين حتى لا يزول . وفي هذا ترى ابن هانيء يقول .

إذا كان أمنٌ يشملُ الأرضَ كلها فلا بُدَّ فيها من دليلٍ مُقدِّمٍ
إذا كان تفريقُ اللُّغاتِ لِعِلَّةٍ فلا بُدَّ فيها من وسيطٍ مُترجمٍ
وآيةُ هذا أنَّ حَى اللهُ أرضه ولكنها لم ترسُ من غيرِ معلَمٍ
ويقول في قصيدة أخرى .

لولاكَ لم يكنِ التَّفَكُّرُ واعِظًا والعقلُ رشداً والقياسُ دليلاً
لو لم تكنْ سَكَنَ البلادِ تَضَعُضَتْ وتزَايَلَتْ أركانُها تزييلاً

ومن مبادئ الشيعة أن الإمام لا يقوم إلا بالنص من قبله كما لا يجوز قيام النبي إلا بإذن من الله . قال ابن هانيء .

وما ذاك أخذًا بالفِرَاسَةِ وحدها ولا أنه فيها من الظنِّ مُضطرٌّ
ولكن موجودا من الأثرِ الذي تلقَّاهُ عن حبرٍ ضنينٍ به حبرٌ

ويرى الشيعة أن الإمام هو سبب وجود الدنيا بجميع ما فيها وهو علتها

ولولاه لما كانت أرض ولا سماء ولا شمس ولا قمر . قال ابن هانيء .
هو عِلَّةُ الدُّنيا ومن خَلَقَتْ له ولِعِلَّةٍ ما كانت الأشْياءُ

وقال :

هذا ضميرُ النَّشْأَةِ الأولى التي بدأ الإلهُ وغيبها المكنونُ
من أجلِ هذا قُدِّرَ المَقْدُورُ في أمِّ الكِتَابِ وَكُوِّنَ التَّكْوِينُ
والإمام عند الشيعة من أكمل مخلوقات العالم جسدا وروحا
وهو جامع لكل الفضائل والخيرات وجسده برىء من كل عيب وروحه
سالم من كل نقصان . قال ابن هاني .

فرغَ الإلهُ له بِكُلِّ فَضِيلَةٍ أَيَّامَ آيَاتِ الكِتَابِ تُفَصَّلُ
وقال :

وروح هُدَى في جِسمِ نورٍ يَمُدُّهُ شُعَاعٌ من الأعلى الذي لم يُجَسِّمِ
والإمام عندهم متصف بكل صفة يتصف بها النبي من كونه أمين الله
وهادى الخلق ووارث الأرض وشفيع الناس . فالإمام متصف بكل
هذه الصفات . قال ابن هاني .

هذا أمينُ الله بين عباده وبلاده إن عُدَّتْ الأُمَّنَاءُ
هو الوارث الأرضَ عن أبوين أبٍ مصطفى وأبٍ مُرْتَضَى
وقال :

الله من سببٍ بالله متصل وظلُّ عدلٍ على الآفاق تمدود
وقال :

هذا الشفيعُ لأُمَّةٍ يَأْتِي بها وَجُدُودُهُ لجدودها شُفَعَاءُ
وهو معصوم مثل النبي لا يصدر منه خطأ ولا تبدو منه زلة لأنه
ملهم من الله بأعظم درجات الإلهام ومؤيد منه بأكبر حدود التأييد

وهو مؤتمن على هداية الخلق بعد الرسول . قال صاحبنا .
من كان سِيما القُدسِ فوقَ جَبِينِهِ فَأنا الضَّمِينُ بِأَنَّهُ لَا يَجْهَلُ
وقال :

مُؤَيَّدٌ بِاخْتِيَارِ اللَّهِ يَصْحَبُهُ وَلَيْسَ فِيما أَرَاهُ اللَّهُ مِنْ خَلَلٍ
ومعرفة الإمام عند الشيعة واجبة على الجميع لحديث يروونه عن
النبي وهو « من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية »
وكذلك ولايته واجبة عليهم . فلا نجاة لأحد من الناس إلا إذا عرف
الإمام وخضع لحكمه خضوعا تاما ومنحه ولاءه وإخلاصه . وقد أتى ابن
هانيء بهذا في شعره حيث يقول .

لِيَعْرِفَكَ مِنْ أَنْتَ مَنْجَاتُهُ إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهَ حَقَّ اتَّقَى

فَرِضَانِ مِنْ صَوْمٍ وَشُكْرِ خَلِيفَةٍ هَذَا بِهَذَا عِنْدَنَا مَقْرُونُ

لَوْ لَمْ تَكُنْ سَبَبَ النِّجَاةِ لِأَهْلِهَا لَمْ يُغْنِ إِيمَانُ الْعِبَادِ قَتِيلًا

لَئِنْ كَانَ لِي عَنْ وُدِّكُمْ مُتَأَخَّرٌ فَإِلَى فِي التَّوْحِيدِ مِنْ مُتَقَدِّمِ

والإمام كما يرون مظهر نور الله الذي ينتقل من إمام إلى إمام فأنه
يتجلى بنوره في شخص الإمام . فإذا علمنا هذا استطعنا أن نفهم بسهولة
قول ابن هانيء

وما كنه هذا النور نورُ جَبِينِهِ وَلَكِنَّ نوراَ اللَّهِ فِيهِ مُشَارِكُ

وبدا تَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ عَفْوَاً وَقَاءَ لِيُونُسَ الْيَقْطِينُ

مِنْ شُعْلَةِ الْقَبَسِ الَّتِي عَرَصَتْ عَلَى مُوسَى وَقَدْ حَارَتْ بِهِ الظَّلْمَاءُ

وَلَقَدْ بَرَآكَ فَكُنْتَ مَوْتَقَهُ الَّذِي أَخَذَ الْكِتَابَ وَعَهْدَهُ الْمَسْؤُولَا

فالشَّيْعَةُ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا وَالْأُمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَفْضَلُ جَمِيعِ الْبَشَرِ وَإِنْ
نُورُهُمْ خُلِقَ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ الْعَالَمُ وَحُبُّهُ إِنْ نُورِ اللَّهِ أَزَلَى يَنْتَقِلُ مِنْ إِمَامٍ
إِلَى إِمَامٍ حَتَّى اتَّصَلَ بِالْمَعْزِ ، فَنُورُ الْمَعْزِ هُوَ النُّورُ الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ هَؤُلَاءِ
الْأَنْبِيَاءُ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ بِهِ دَعَاءَهُمْ .

وهكذا سار ابن هانيء في شعره على هذه الوتيرة ، فلا عجب أن كان
لشعره طابع خاص ميزه عن غيره من شعراء الشيعة . فهو لم يرث الحسين
ولم يذكر عليا ولا مناقبه ، ولم يقصر شعره على هجاء الأمويين والعباسيين ،
ولم يتعرض للشيخين بطعن ولا سب ، إنما وقف شعره على نشر الدعوة
للخلافة الفاطمية وبت مبادئ العبيديين ، وقد كان هذا من الأمور
الطبيعية لأن هذه الدولة الجديدة الناشئة أضحت في حاجة إلى تثبيت
دعائها وتقوية مركزها ، بعد أن أصبح الأمر بيد خلفائها . وليس
أقوى من الشعراء في هذا المضمار ولا أقدر منهم . وقد وجد المعز
في ابن هانيء خير نصير ومعين على نشر الدعوة الفاطمية وقد قيل إنه
حزن حزنا شديدا لما سمع بوفاة .

مدحه للبغز

وقد مدح ابن هانيء الأندلسي المعز لدين الله الفاطمي بقصائد كثيرة
أظهر فيها قوة ومثانة ، ووفق فيها إلى أقصى درجات التوفيق . ومثال
ذلك قوله من قصيدة :

وطفقتُ أسألُ عن أغرٍّ مُحَجَّلٍ فإذا الأنامُ جِبَلَةٌ دَهْمَاءُ
حتى دُفَعْتُ إلى المعزِّ خَلِيفَةً فعلبتُ أن المطلبَ الخلفاءُ
جودٌ كأنَّ أَلِيمَ فيه نَفَاثَةٌ وكأَنَّما الدُّنيا عليه غُشَاءُ
مَلِكٌ إذا نَطَقَتْ عُلاهَ بِمدِحِهِ خِرْسَ الوفودُ وأفحمَ الخطباءُ
هو عِلَّةُ الدنيا ومن خُلِقَتْ له ولعلَّةٌ ما كانت الأشياءُ
من صفو ماء الوحي وهو مُجَاجَةٌ من حوضه ينبوعٌ وهو شفاءُ
من أَيْكَةِ الفردوسِ حيث تَفَتَّقَتْ ثمراتها وتَفِيَّأُ الأفياءُ
من سُعْلَةِ القَبسِ التي عُرِضَتْ على موسى وقد حارتُ به الظلماءُ
من معدِنِ التقديسِ وهو سُلالَةٌ من جوهرِ الملكوتِ وهو ضياءُ
من حيث يُقْتَبَسُ النُّهارُ لمبصرٍ وتُشَقُّ عن مكنونِها الأنباءُ
فَتَيْقَظُوا من عَفَلَةٍ وَتَقَبَّهَوا ما بالصباحِ عن العيونِ خفاءُ
ليست سماءُ اللهِ ما تراوَتْها لكن أرضاً تحتويه . سَمَاءُ
أما كواكبها له تَفْجُوا ضِعُّ تُخْفِي السجودَ وَيَظْهَرُ الأيما
والشمسُ ترجعُ عن سَناءِ جفونها فكانها مَطْرُوقَةٌ مَرهَاءُ

هذا الشفيح لأمة يأتي بها
هذا أمين الله بين عباده
هذا الذي عطفت عليه مكة
هذا الأغر الأزهري المتألق أئمة
فعلية من سيم النبي دلاله
ورث المقيم يثرب فالمنبر الأ
والخطبة الزهراء فيها الحكمة ال
للناس إجماع على تفضيله
واللكن والفصحاء والبعداء وال
ضراب هام الروم منتقياً وفي
تجري أياديه التي أولاهم
لولا انبعاث السيف وهو مسلط
كانت ملوك الأعممين أعزة
لن تُصغر العطاء في سلطانهم
جهل البطارق أنه الملك الذي
حتى رأى جهاهم من عزمه
فتقاصروا من بعد ما حكم الردى
والسيل ليس يحيد عن مستته
لم يُشركوا في أنه خير الورى

وجدوده لجدودها شفعا
وبلاده إن عدت الأمانة
وتعابها والركن والبطحاء
تدقق المتبلج الوضاء
وعليه من نور الإله بهاء
على له والشريعة العلية
غراء فيها الحجة البيضاء
حتى استوى اللؤماء والكرماء
قرباء والنخصاء والشهداء
أعناقهم من جوده أعباء
فكأنها بين الدماء دماء
في قتلهم قتلهم الأبناء
فأذلتها ذو العزة الآباء
إلا إذا دأفت لها العطاء
أوصى البنين بسله الآباء
غيب الذي شهدت به العلماء
ومضى الوعيد وشبت الهيجاء
والسهم لا يدلي به غلواء
ولذي البرية عندهم شركاء

وَإِذَا أَقْرَّ الْمَشْرِكُونَ بِفَضْلِهِ
فِي اللَّهِ يَسْرَى جُودَهُ وَجُنُودُهُ
أَوْ مَا تَرَى دَوْلَ الْمُلُوكِ تُطِيعُهُ
نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِنَصْرِهِ
وَالْفَلَكَ وَالْفَلَكَ الْمُدَارُ وَسَعْدُهُ
وَالدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ فِي تَصْرِيْفِهَا
أَيْنَ الْمَفْرُؤُ وَلَا مَفْرَأَ لَهَا رَبِّ
وَلِكِ الْجَوَارِي الْمُنَشَّاتُ مَوَاحِرًا
وَالْحَامِلَاتُ وَكُلُّهَا مَحْمُولَةٌ
وَالْأَعْوَجِيَّاتُ الَّتِي إِنْ سُوبِقَتْ
الطَّائِرَاتُ السَّابِحَاتُ السَّابِقَا
فَالْبَأْسُ فِي حَمْسِ الْوَعْيِ لِكُمَايَا
لَا يُصْدِرُونَ نَحْوَهَا يَوْمَ الْوَعْيِ
سُمُّ الْعَوَالِي وَالْأَنْوْفِ تَبَسَّمُوا
لِسُورِ الْحَدِيدِ عَلَى الْحَدِيدِ مَظَاهِرًا
وَتَقْنَعُوا الْفُولَادَ حَتَّى الْمَقْلَةُ النِّجْ
فَكَأَنَّمَا فَوْقَ الْأَكْفِ بَوَارِقُ
مِنْ كُلِّ مَسْرُودِ الدَّخَارِصِ فَوْقَهُ
وَتَعَانَقُوا حَتَّى رُدَّ يَلِيَّاتِهِمْ

قَسْرًا فَمَا أُدْرَاكُ مَا الْخَنَفَاءُ
وَعَدِيدُهُ وَالْعَزْمُ وَالْآرَاءُ
فَكَأَنَّهَا خَوْلٌ لَهُ وَإِمَاءُ
وَأَطَاعَهُ الْإِصْبَاحُ وَالْإِمَاءُ
وَالغَزْوُ فِي الدَّامَاءِ وَالِدَّامَاءُ
وَالنَّاسُ وَالْخِضْرَاءُ وَالغِبْرَاءُ
وَلِكِ الْبَسِيطَانِ التَّرَى وَالْمَاءُ
تَجْرَى بِأَمْرِكَ وَالرِّيَّاحُ رُخَاءُ
وَالنَّاتِجَاتُ وَكُلُّهَا عَمْدَرَاءُ
سَبَقَتْ وَجَرْمِي الْمُنْذَكِيَّاتُ غِلَاءُ
تُ النَّاجِيَّاتُ إِذَا اسْتُحِثَّ نَجَاءُ
وَالكَبِيرِيَّاتُ لَهْنُ وَالْخَيْلَاءُ
إِلَّا كَمَا صَبِغَ الْخُدُودَ حَيَاءُ
تَحْتَ الْقُنُوسِ فَأَظْلَمُوا وَأَضَاءُ
حَتَّى الْيَلَامُ وَالْدُّرُوعُ سَوَاءُ
لَاءُ فِيهَا الْمَقْلَةُ الْخَوْصَاءُ
وَكَأَنَّمَا فَوْقَ الْمُتُونِ إِضَاءُ
حُبُكُ وَمِصْقُولِ عَلَيْهِ هَبَاءُ
عَطَشِي وَبِيضُهُمُ الرَّقَاقُ رِوَاءُ

أَعَزَّتْ دِينَ اللَّهِ يَا ابْنَ نَبِيِّهِ
فَأَقْلُ حَظِّ الْعَرَبِ مِنْكَ سَعَادَةٌ
فَإِذَا بَعَثَ الْجَيْشَ فَهُوَ مِنْهُ
يَكْسُو نَدَاكَ الرُّوضِ قَبْلَ أَوَانِهِ
وَصِفَاتِ ذَاتِكَ مِنْكَ يَا خُذْهَا الْوَرَى
قَدْ جَالَتْ الْأَوْهَامُ فِيكَ فَدَقَّتْ
فَعَنَتْ لَكَ الْأَبْصَارُ وَانْقَادَتْ لَكَ
وَتَجَمَّعَتْ فِيكَ الْقُلُوبُ عَلَى الرُّضَى
أَنْتَ الَّذِي فَصَلَ الْخُطَابَ وَإِنَّمَا
وَأَخْصُ مَنْزِلَةً مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي
أَخَذُوا الْكَلَامَ كَثِيرَهُ وَقَلِيلَهُ
دَانُوا بِأَنْ مَدِيحَهُمْ لَكَ طَاعَةٌ
فَاسْلَمْ إِذَا رَابَ الْبَرِيَّةَ حَادِثٌ
فِيهِ تَنْزَلَ كُلُّ وَحْيٍ مُنْزَلٍ
فَتَطُولُ فِيهِ أَكْفُ آلِ مُحَمَّدٍ
مَازَلْتَ تَقْضِي فَرَضَهُ وَأَمَامَهُ
حَسْبِي بِمَدْحِكَ فِيهِ ذُخْرًا لِلْوَرَى
هِيَهَاتَ مَنَا شُكْرٍ مَا تُولَى وَلَوْ
وَاللَّهُ فِي عَالِيكَ أَصْدَقُ قَائِلٍ
لَا تَسْأَلَنَّ عَنِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ

فَالْيَوْمَ فِيهِ تَحْمُطُ وَإِبَاءُ
وَأَقْلُ حَظِّ الرُّومِ مِنْكَ شَقَاءُ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّأْيَ فَهُوَ قَضَاءُ
وَتَمْحِيدَ عَنْكَ اللَّزْبَةُ اللَّوَاءُ
فِي الْمَكْرَمَاتِ فَكُلُّهَا أَسْمَاءُ
أَفْكَارَ عَنْكَ بَجَلَّتِ الْآلَاءُ
أَقْدَارُ وَاسْتَحْيَتْ لَكَ الْإِنْوَاءُ
وَتَشَيَّعَتْ فِي حُبِّكَ الْإِهْوَاءُ
بِكَ حُكْمَتْ فِي مَدْحِكَ الشُّعْرَاءُ
أَمْثَالُهَا الْمَضْرُوبَةُ الْحِكْمَاءُ
قَسَمِينَ ذَا دَائِهِ وَذَلِكَ دَوَاءُ
فَرَضَ فَلَيْسَ لَهُمْ عَلَيْكَ جَزَاءُ
وَإِخْلُدْ إِذَا عَمَّ النَّفُوسَ فَنَاءُ
فَلِأَهْلِ بَيْتِ الْوَحْيِ فِيهِ ثَنَاءُ
وَتُغَلُّ فِيهِ عَنِ النَّدَى الطَّلَقَاءُ
وَوَرَاءَهُ لَكَ نَائِلٌ وَجِبَاءُ
لِلنُّسْكَ عِنْدَ النَّاسِكِينَ كِفَاءُ
شَكَرْتِكَ قَبْلَ الْأَلْسِنِ الْأَعْضَاءُ
فَكَأَنَّ كُلَّ قَوْلِ الْقَائِلِينَ هَذَا
فِي رَاحَتِكَ يَدُورُ كَيْفَ تَشَاءُ

ومدأح ابن هانيء كلها على هذا النحو . وقد كرر كثيرا من المعاني
في قصائد مختلفة وردد ما أتى به هنا من الآراء والمبادئ في غير
هذه القصيدة .

وفاته : توفي ابن هانيء في عام ٣٦٢ هـ وعمره ست وثلاثون سنة .
وجد مقتولا وقد اختلف في سبب قتله .

(انتهى)

فهرس

	صفحة
مقدمة الطبعة الثانية	هـ
مقدمة الطبعة الأولى	و
الباب الأول	
الفصل الأول : مشكلة الخلافة	١
الفصل الثاني : فرق الشيعة	١٦
الباب الثاني	
مقدمة - التشيع والأدب	٢٣
الفصل الأول :	
(١) الخطابة	٢٥
(٢) الرسائل	٢٨
(٣) الحديث	٣٥
(٤) القصص	٤٠
(٥) اتتحال القول	٤٤
الفصل الثاني :	
خطباء الشيعة - الأمام على	٥٠
نهج البلاغة	٥١
خطباء آخرون	٦٨
الباب الثالث	
الفصل الأول : فى الشعر	
(١) شعر أبى طالب	٦٩
(٢) شعر على	٧١
(٣) على ألسنة أعدائهم	٧٦
(٤) كفر ومجون	٧٩

	صفحة
الفصل الثاني : الشعر عند الشيعة	٨٤
(١) المدح	٨٥
(٢) الرثاء	٩٠
(٣) الهجاء	٩٢
(٤) الدفاع عن حق علي	٩٤
(٥) ذكر مناقب آل البيت	٩٩
(٦) النقائض	١٠١
الباب الرابع :	
شعراء الشيعة	١٠٤
(١) الكميث	١٠٤
(٢) كثير	١١٠
(٣) العبلي	١١٦
(٤) السيد الحميري	١١٩
(٥) دعبل الخزاعي	١٢٦
(٦) ابن الرومي	١٣١
(٧) المفجع البصري	١٣٥
(٨) الشريف الرضي	١٣٨
(٩) مهيار الديلمي	١٤٩
(١٠) ابن هانئ الأندلسي	١٥٤
مدحه للمعز	١٦٠

رقم الإيداع ٩٤ / ١٠٦١١
التزقيم الدولي 977 - 5383 - 10 - 2

دار العرب
للبيستاف

To: www.al-mostafa.com